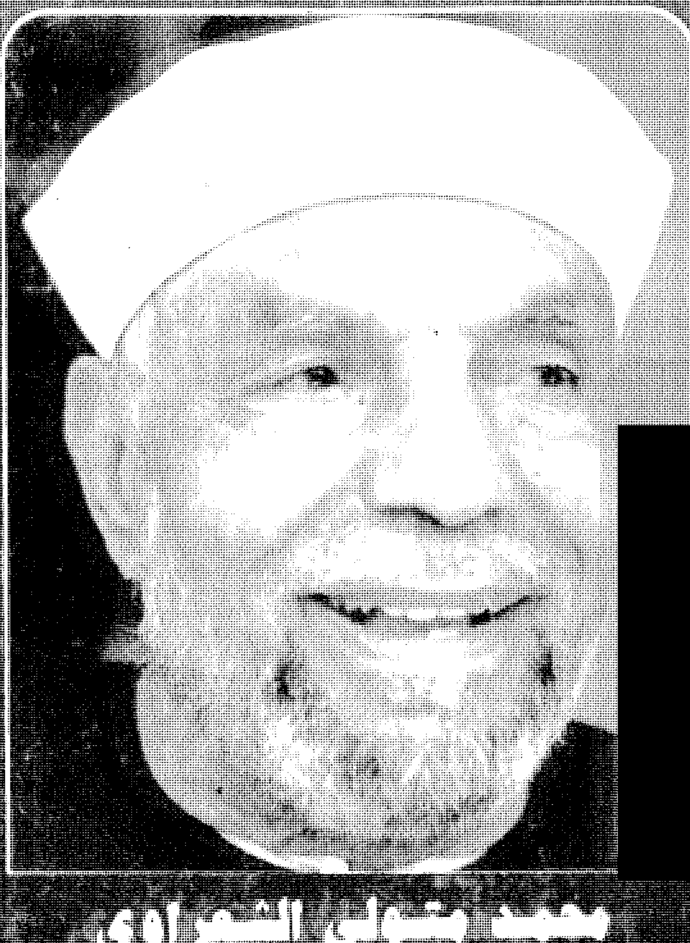
أخبار اليوم

مكتبة الشعراوى الإسلامية

الغيب



محمد متولى الشعراوى

الغيب

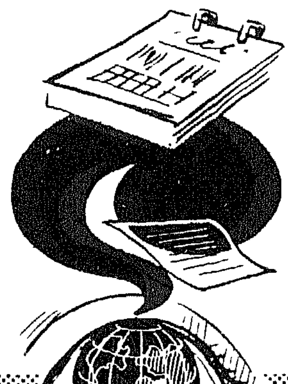
بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله والصلاة والسلام على
سيدنا رسول الله.
أسأل الله أن تكون هذه الكتب
التي ستصدر عن مكتبتي خطوة على
طريق الهدى ونور يضيء الطريق للإيمان
والله نسأل الهداية والتوفيق

محمد متولي الشعراوي

الاخـراج الفـنى
عبد الكريم محمود

الفصل الأول



ما هو الغيب

الغَيْبُ هو ما غاب عنك . . فالمشهود ليس غيبا .ا. أى أن ما تشهده العين لا يعتبر غيبا . . بل لابد أن يكون بعيدا عن عينك . . والمشهود منا يخرج عن حكم الغيب .

والانسان إذا نظر إلى حياته . . وجد أن ما يعرفه هو أقل القليل . . وأن ما يغيب عنه هو الكثير . . والمشهود لنا هو حياتنا فقط . . وهى دائرة ضيقة جدا . . وحتى إذا أضفنا اليها ما نشاهده فى التليفزيون أو غيره من الوسائل التى تنقل الينا أحداثا بعيدة . . فإن هذا الذى نعرفه منها على كثرته ، انما هو اقل القليل بالنسبة لما يحدث فى الدنيا كلها .

قد نكون فى مكان واحد . . ولكن فى غرف منعزلة ، فيغيب عنا ما فى الغرف المجاورة لنا . . وقد نجلس مع أشخاص نتحدث معهم . . ويكونون مشهودين لنا . . ولكن يغيب عنا ما يدور فى عقولهم وصدورهم .

وهكذا نرى فى حياتنا اليومية . . ان أقل القليل هو المشهود ، وأن أكثر الكثير هو الغيب عنا . . لهذا يقول الحق سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز :

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(من الآية ٨٥ سورة الاسراء)

فاذا كان هذا عن العلم المشاهد . . فهو أقل القليل . . وإذا كان هذا عن القضايا العامة فهو أيضا أقل القليل . . لأنه ما من قضية بحثت . . وتفرغ لها الباحثون . . إلا عرفوا أشياء وغابت عنهم أشياء . .

انك لن تجد قضية دنيوية أو قانونا دنيويا . . إلا احتاج الى تعديل أو إلى تبديل بعد فترة قليلة من الزمن . . لماذا ؟ لأن الذين درسوا هذه القضية أو تلك ، أو وضعوا هذا القانون أو ذاك . . علموا أشياء . . وغابت عنهم أشياء . . فلما مر الوقت وظهرت الأشياء التى كانت غائبة . . واقتضت التعديل ، وهذا أمر طبيعى . . لأن كل عصر له قوانينه وله قضاياه . . كل عصر يكشف عن أشياء غابت عمن عاشوا فى العصر الذى قبله ، ويُوجِدُ قضايا جديدة غابت عن علمهم . .

لكن لما كان المشرع هو الله سبحانه وتعالى وحده . . ولأنه جل جلاله لا يغيب عنه شىء . . فعلمه أزلى . . وكل ما فى الكون فى علمه حتى قبل ان يوجده ، فهو سبحانه لا يَعْزُبُ عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء .

علاج مشاكل الدنيا بمنهج الله

إننا إذا أردنا أن نعالج مشاكل الدنيا . . علاجا لا يحتاج إلى تغيير أو تبديل . . فلنأخذ هذا العلاج ونستلهمه من منهج الله . . لأنه سبحانه وتعالى . . هو الذى خلق الداء وخلق الدواء . . وهو الذى خلق الانسان ويعرف ما يصلحه وما يفسده . . وهو جل جلاله الذى خلق الكون . . ويعرف ما يصلحه وما يفسده . .

وإذا كنا فى معاملاتنا الدنيوية نتجه الى صانع الآلة ليصلح ما فسد فيها . . لأنه هو الذى صنعها . . وهو العليم بأسرار ما صنع . . فإذا لم يكن ميسرا أن يتجه الناس الى صانع الآلة نفسه . . لكثرة الانتاج وانتشار توزيعه فى العالم كله . . فإن هذا الصانع يقوم بتدريب الفنيين . . على كيفية إصلاح الآلات التى ينتجها . . ويطبع ملايين الكتالوجات التى ترشد الناس الى كيفية إصلاح هذه الآلة . .

فإذا جئنا لانسان لم يُدَرَّبْ على الاصلاح بواسطة الصانع . . ولم يقرأ الكتالوج الذى يعينه على الاصلاح ، فإنه يفسدها ولا يصلحها . . انك اذا جئت بنجار مثلا ليصلح لك التليفزيون . . أفسده لك ولامك الناس على عدم الالتجاء إلى الصانع أو إلى المتخصص فى اصلاح هذه الأجهزة .

نأتى لمنهج الله ونتركه !

إننا نفعل هذا فى أمورنا المادية ، لكننا نتجاهلها فى امور الكون . . إننا نعرف عن يقين أن الله هو خالق هذا الكون ، وهو خالق الانسان . . وهو واضع منهج الحياة فى الكون . . ومبلغه لنا . . لكننا نأتى إلى منهج الله سبحانه وتعالى فنتركه . . وَنُشَرِّعُ لأنفسنا بعقولنا القاصرة وفهمنا المحدود ، ثم نعتقد أننا بذلك نصلح . . بينما نحن مفسدون . . لأننا تركنا ما أعطاه لنا الخالق . . وبدأنا نأتى بأشياء جديدة من عندنا . . معتقدين أننا أقدر من الصانع على صنعته . . وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا
إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ
وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾

(الآيتان ١١ و١٢ سورة البقرة)

إن كل حركات الاصلاح البعيدة عن منهج الله هى إفساد فى الأرض . . لأنها بعدت عن الخالق الذى يعلم . . الى المخلوق الذى لا يعلم الا قليلا . . وما من شىء خلقه الله إلا حدث منه صلاح فى الكون . . ومحال ان يترتب عليه فساد . . فالشمس

ـ على سبيل المثال ـ تنير الكون منذ ملايين السنين . . ومع ذلك لم يحدث منها الافساد الذى حدث من المصانع وعادم السيارات فى سنوات قليلة . .

والزرع خلقه الله ليعطى الكون الهواء النقى اللازم له . . لكن الانسان جاء وأزاله وبنى بدلا منه مصانع ومدنا . . فحدث تلوث الجو وثقب الأوزون الذى يهدد البشرية كلها .

إذن ما هو غيب عنا كثير . . وما هو مشاهد منا قليل . . هذا بالنسبة للحياة الدنيا . . فإذا أضفنا الى ذلك . . أن هناك عوالم اخرى جعلها الله سبحانه وتعالى غيبا عنا . . لا نراها ولا نعرفها . . فعالم الجن غيب عنا . . سواء منهم الجن الصالح أو الشياطين . . والله سبحانه وتعالى يقول فى القرآن الكريم :

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾

(من الآية ٢٧ سورة الأعراف)

وعالم الملائكة غيب عنا . . فنحن لا نرى الملائكة . . وهناك عوالم أخرى فى علم الله . . لا نعرف عنها شيئا .

علمنا محدود .. لكل ما هو موجود

وهكذا نرى ان علمنا محدود جدا . . بالنسبة لما هو موجود فى هذا الكون . . سواء كان من الماديات أو من عالم الغيب . . هناك عَالَمُ مشهود . . هو عَالَمُ الْمُلْك . . ذلك هو العَالَم الظاهر الذى نشترك فى مشاهدته جميعا . . وهناك عالم الملكوت . . وهو ذلك العالم الخفى . . الذى لا يريه الله سبحانه وتعالى . . إلا لمن ارتضى من رسول أو عبد صالح . .

وإذا قرأنا القرآن . . نجد قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾

(الآية ٧٥ سورة الأنعام)

وهكذا نرى أن هناك ملكوتا لله يريه من يشاء من عباده

والغيب فى عالمه الكبير . . له قسمان . . غيب نسبى . . وغيب مطلق . . الغيب المطلق هو ما فى علم الله وحده . . لم يخرج ليمارس مهمته فى الكون . . فلكل شىء فى الكون مهمة . . ولكل شىء فى الكون ميلاد ونهاية . . حتى إرتقاءات البشر لها ميلاد ، هذه الخاصية ليست للانسان وحده . . بل لكل شىء فى الكون ميلاد ونهاية . .

النظريات العلمية مثلا لها ميلاد .. لتمارس مهمتها فى الكون .. فان صادفت باحثا يبحث عنها كشفها الله سبحانه وتعالى له .. وإن لم تصادف باحثا .. كشفها الله تبارك وتعالى لمن يبحث عن آياته فى الأرض .. بما نسميه نحن بالصدفة ..

وكثيرا ما تجد باحثا يبحث فى شىء ما أو نظرية ما .. وينتهى به البحث الى شىء آخر تماما .. لم يكن يبحث عنه .. ولكن الله سبحانه هداه إليه .. بما نطلق عليه نحن البشر .. الصدفة .. أو يجعله الله يلحظ شيئا لم يكن يلحظه من قبل فيغير بحثه تماما .. ويتجه اتجاها آخر .

الشفاء من المرض ـ ايضا ـ له موعد وله ميلاد .. فعندما يأذن الله سبحانه وتعالى بالشفاء .. يهدى الطبيب الى المرض ويكشفه له فيشخصه ثم يعالجه فيتم الشفاء بإذن الله ، وقد يذهب المريض إلى أكبر الأطباء فلا يشفى .. ثم يأتى طبيب حديث التخرج .. ويكشف عليه ويشخص المرض فيشفى المريض ! !

هل هذا الطبيب الناشىء .. حديث التخرج اكثر علما من أساتذة الطب الذين علموه ؟ نقول لا .. لأنه أخذ العلم عن هؤلاء الأساتذة .. ولكنه كشف على هذا المريض فى موعد مولد الشفاء .. فهداه الله الى المرض فعالجه وتم الشفاء ..

إذن فالغيب المطلق .. هو ما لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى .. ولم يخرج من علمه بكلمة « كن » ليمارس مهمته فى الكون .. ولذلك نقرأ فى القرآن الكريم قوله الحق جل جلاله :

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾

(من الآية ٥٩ سورة الأنعام)

وهذا الغيب المطلق .. لا يعلمه أحد إلا الله سبحانه وتعالى .. ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أخبرنا عن أشياء وقعت وكانت غيبا ..

إن كل علامات القيامة الصغرى التى تحققت هذه الأيام من ضياع الأمانة .. وتعالى الحفاة العراة فى البنيان .. وأن يصبح الولد نكد أبيه وأمه .. وأن يود المرء زوجته ويهجر أمه .. وأن يكون هناك شح مطاع .. وينتشر الفساد فى الأرض .. ويصبح الدم مباحا فى كثرة حوادث النسف والاغتيالات والحروب الأهلية .. وأن تزخرف المساجد .. وتكون القلوب خربة ليس فيها إيمان .. وأن يعلو المنافقون فى المناصب .. وأن يعطى الشىء لغير أهله ..

كل هذا أو غيره من مئات النبوءات . . أخبرنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحققت . . حين أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها كانت غيبا ثم تحققت . . فهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب ؟ . .

الله سبحانه وتعالى يقول لرسوله فى القرآن الكريم :

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾

(من الآية ٥٠ سورة الأنعام)

إن الله سبحانه وتعالى . . أمر رسوله أن يخبرنا أنه لا يعلم الغيب . . فكيف نبأنا رسول الله عليه الصلاة والسلام بأشياء كثيرة حدثت . . حتى أن الرسول الكريم . . كان فى غزوة خيبر عندما رأى مقاتلا . . يقاتل بين صفوف المسلمين بشجاعة أذهلت المؤمنين ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : إن هذا الرجل من أهل النار !

ويروى لنا أبو هريرة رضى الله عنه : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الرجل فى النار . . فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراح فجاء رجل من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أرأيت الرجل الذى ذكرت أنه من أهل النار قد قاتل والله فى سبيل الله أشد القتال وكثرت به الجراح . . فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم أما هو من أهل النار . . فكاد بعض الناس يرتاب . . فبينما هو على ذلك وجد الرجل ألم الجراح فاستعجل الموت فوضع سيفه فى الأرض ثم تحامل عليه فقتل نفسه . .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قد عرف أن هذا المقاتل من أهل النار . . مع أنه كان يقاتل فى هذا اليوم فى سبيل الله بشجاعة وجرأة نادرة ، كما أنبأ رسول الله عليه الصلاة والسلام أصحابه بأشياء اخرى ثم حدثت . .

فى غزوة الخندق . . وأثناء حفر الخندق حول المدينة ليحموها من هجوم الكفار . . تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن المسلمين ستفتح لهم الشام وفارس واليمن . . فقد قال البراء بن عازب الانصارى : (لما كان حين امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرض لنا فى بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ بها المعاول ، فشكونا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآها أخذ المعول وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها ، وقال الله أكبر أُعْطِيتُ مفاتيح الشام ، والله إنى لأبصر قصورها الحمراء إن شاء الله ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فقال الله اكبر أُعْطِيتُ مفاتيح فارس ، والله انى لأبصر قصر المدائن الأبيض ، ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر . فقال الله اكبر أعطيت مفاتيح اليمن . والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى هذا) .

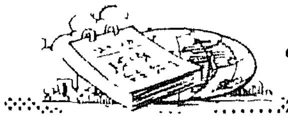
وهكذا تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بغيب سيحدث بعد عدة سنوات ورواه عليه الصلاة والسلام للمؤمنين الواقفين حوله .

نبوءات كثيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلها تحققت . . فكيف يطلب الله سبحانه وتعالى من رسوله ان يقول للمؤمنين فى قرآن كريم لايتبدل ولا يتغير الى يوم القيامة : « قل لا أعلم الغيب » . . ثم ينبئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الكم الهائل من الغيب ؟ . .

نقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب . . ولكن الله سبحانه وتعالى أعلمه بكل ما قال من غيب . . فهو صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب بذاته . . ولكن الله سبحانه وتعالى أعلمه بأحداث من الغيب يرويها لنا . . كدليل على صدق رسالته . . وبلاغه عن الله . .

إن كل غيب أخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم . . هو إعلام من الله سبحانه وتعالى لرسوله . . فالرسول عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب . : ولكن الله تبارك وتعالى أعلمه بما شاء . . ولكن لا يعلم الغيب المطلق الا الله سبحانه وتعالى .

ما هو الغيب النسبى ؟



نأتى بعد ذلك إلى الغيب النسبى . . وهو الغيب الذى يعلمه البشر . . ما هو الغيب النسبى ؟ إنه شىء لا أعلمه . . ولكن يعلمه غيرى . . فاذا سُرِق منى شىء مثلا . . فاننى لا أعلم من هو السارق . . إنه غيب عنى . . وقد لا تعلم الشرطة من هو السارق . . ولكن الذى سرق يعلم أنه السارق . . والذى أخفيت عنده المسروقات . . يعلم من السارق والذى بيعت له المسروقات يعلم من السارق .

وقد يوقع حاكم أو وزير قرارا بتعيينى فى منصب معين . . إن الذى وقع القرار يعلمه . . وقد يعلمه مدير مكتبه . . أو من كان موجودا عنده وقت توقيع القرار . . لو أن الموجود عند ذلك الحاكم وقت توقيع القرار . . اتصل بى وقال لى ستعين فى منصب كذا . . وأخفى عنى أنه شهد توقيع القرار . . أأقول انه يعلم الغيب ؟ . . طبعا لا .

إذن الغيب النسبى . . هو غيب يعلمه غيرى . . ولكنى لا أعلمه . . فإذا كنت عائدا من السفر . . وكان معى صديق عرف موعد عودتى ثم عاد قبلى بأيام . . وقال إن فلانا سيعود يوم كذا . . وعدت فى ذلك اليوم فعلا . . أيكون صديقى قد علم الغيب ؟ . . طبعا لا . .

وهكذا كل الأمور التى نسميها نحن غيبا .. وهى ليست غيبا مطلقا .. ولكنها غيب نسبى ..

كل هذه الأمور هى التى يمكن أن يعلمها البشر .. وهى التى يحاول الدجالون وغيرهم ممن يستعينون بالشياطين أن يوهموا الناس بأنهم يعرفون الغيب .. والحقيقة هى أنهم لا يعرفون غيبا .. وإنما هى أحداث وقعت فعلا .. ولكنها غيب عمن يسأل عنها .. أما الغيب الحقيقى .. الغيب المطلق ، فلا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى ..

التنبؤ .. والغيب

ومن الغيب النسبى ايضا . . ما يسمى بالتنبؤ أو الفراسة . . ذلك أننى مثلا أعرف من عادات فلان وشخصيته . . أنه يثور لأسباب معينة . . كأن يكون يكره شخصا ما ولا يريده أن يدخل إلى بيته . . فيأتى هذا الشخص إلى بيته فى غيابه . . حينئذ أقول إذا حضر فلان الآن فستحدث مشاجرة . . ثم يحضر فلان فعلا تحدث المشاجرة . . أأكون بتنبئى هذا عالما بالغيب ؟

وقد أرى ابنى لا يذاكر . . يفتح الكتاب وينظر فيه ولكنه لا يستوعب شيئا . . أو يتظاهر بالمذاكرة . . ويغلق باب حجرته ولكنه لا يذاكر ، فأقول هذا الولد سيرسب . . ويأتى الامتحان ويرسب الولد فعلا . هل يعنى ذلك علمى بالغيب ؟ . . أم أن المقدمات هى التى دلت على النتائج ؟

أنك لو تحدثت إلى استاذ فى الجامعة يدرس لتلاميذه . . وقلت له من سينجح ؟ ومن سيرسب ؟ . . إنه يستطيع أن يحددهم لك . . بل إنه يستطيع أن يقول أن فلانا سيكون الأول . . وفلانا سيكون الثانى . . وفلانا سيكون الثالث . . ويأتى الامتحان وتظهر النتيجة طبقا لما قاله الاستاذ . . فهل معنى ذلك أن هذا الاستاذ يعلم الغيب ؟ طبعا لا . . وإنما استخدم فراسته وذكاءه وخبرته فى التنبؤ بالنتائج .

ان حواجز الغيب الدنيوى ثلاثة : حاجز الزمن الماضى . . كأن يكون قد حدث شىء فى زمن مضى . . لم أكن اعيش فيه . . وفى هذه الحالة يكون هذا الشىء غيبا عنى لا أعرفه . . فكل أحداث التاريخ قبل أن نولد ، هى غيب عنا . . نأخذها عن الرواة الذين رووها أو شهدوها . . وفى هذه الحالة نأخذها كخبر لا يستطيع أن نقول إن كان صحيحا أو غير صحيح . .

إن فى كتب التاريخ روايات متناقضة . . وأشياء نسبت لغير أصحابها . . وأشياء أضيفت وهى لم تحدث . . ولا يستطيع احد أن يقول أين الصدق وأين الكذب ؟ . . بل علينا أن نأخذها على علاتها . . منسوبة الى الرواة أو المؤرخين . . وكثير من أحداث التاريخ يملؤها التزوير والتزييف .

فى التاريخ المعاصر . . وفى العصر الذى نعيش فيه . . نجد أمثلة واضحة لذلك . . إذا مات زعيم من الزعماء أو حاكم . . وجدت من يكتب تاريخه وينسب له الأمجاد . . ومن يكتب تاريخه ويصفه بأبشع الصفات ، ومن يقول عنه أنه كان رجلا عادلا . . ومن يقول عنه أنه كان رجلا فاسقا . . ومن يقول عنه انه كان رجلا ظالما . . وكل واحد من هؤلاء يدعم كتابه بالوثائق .

إن علماء التاريخ . . يقولون إن الوثائق المزورة فى تاريخ البشر أكثر من الوثائق الصحيحة . . بل ان الكتب السماوية لم تسلم من هذا التزييف . . فأخفوا بعض ما فيها . . وما لم يخفوه حرفوه . . ثم جاءوا بكلام من عندهم وقالوا هو من عند الله . . مع أنه ليس من عند الله سبحانه وتعالى . .

وفى ذلك يروى لنا القرآن الكريم . . قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾

(الآية ٧٩ سورة البقرة)

وقول الحق جل جلاله :

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(الآية ٧٥ سورة البقرة)

وهكذا نرى أنهم حرفوا كلام الله تبارك وتعالى . . فنسبوا له جل جلاله ما لم يقله . وقالوا هو من عند الله . . بل إننا لابد أن نلتفت إلى قول الحق سبحانه وتعالى : « من بعد

ما عقلوه » . . أى أنهم لم يحرفوا أو يبدلوا كلام الحق سبحانه وتعالى عن جهل أو عن عدم فهم . . وإلا لكان لهم عذرهم أنهم جهلوا . . أو لم يفهموا . . ولكنهم بدلوه من بعد ما عقلوه . . اى من بعد ما فهموه فهما عقليا سليما . . وأنهم بدلوه وغيروه عن عمد . .

فإذا كان ذلك يحدث بالنسبة لكلام الله سبحانه وتعالى . . فما بالك بأحداث البشر وكلام البشر . . كان الله جل جلاله فى الرسالات السابقة يأتمن عباده على حفظ كتبه وكلامه من أى تبديل أو تحريف . فلما غيروا وبدلوا . . ونسبوا الى الله ما لم يقله . . قضى الحق سبحانه وتعالى ان يحفظ هو القرآن الكريم بقدرته . . مصداقا لقول سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الآية ٩ سورة الحجر)

وهكذا بقى القرآن الكريم محفوظا بقدرة الله تبارك وتعالى . . لا يتبدل ولا يتغير الى يوم القيامة .

إذن حجاب الغيب الأول هو الزمن الماضى .. أما الحجاب الثانى فهو الزمن المستقبل .. فلا أحد يستطيع ان يعرف ماذا سيحدث فى المستقبل .. فأحداث المستقبل حجبها الزمن عنا .. حتى تصبح حاضرا فنعرفها .. ولكننا لا نعرف ماذا سيحدث غدا .. والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾

(من الآية ٣٤ سورة لقمان)

وهكذا يبقى المستقبل كتابا مغلقا أمامنا جميعا .. لا نعرف ماذا سيقع فيه .. ولا ما سيحدث لنا .. ولا لمن حولنا .. ولا للعالم كله .

أما الحجاب الثالث .. فهو حجاب المكان .. ذلك أننى وأنا جالس فى مكان .. لا أعرف ماذا يحدث فى المكان الآخر .. حجاب المكان يمنعنى .. فمثلا وأنا جالس فى القاهرة .. لا أعرف ماذا يحدث فى لندن .. أو فى نيويورك .. أو فى البقاع الأخرى من العالم .. فكل هذه الأحداث غيب عنى .. بل إننى وأنا جالس فى مكتبى لا أعرف ماذا يحدث فى بيتى .. بل لا أعرف ماذا يحدث فى

الغرفة المجاورة لى . . ولذلك فإن حجاب المكان من حجب الغيب بالنسبة للانسان .

وجاء القرآن الكريم فمزق كل هذه الحجب . . مزق حجاب الزمان . . ومزق حجاب المكان . . ومزق حجاب المستقبل . . مزقها فى أحداث مشهورة ومعروفة . . لا يستطيع أحد أن يكذبها . . حتى أعداء هذا الدين . . وذلك من إعجاز القرآن الكريم . . الذى له إعجازات لا تنتهى الى يوم القيامة . .

الفصل الثانى



القرآن والغيب

الله تبارك وتعالى .. جعل فى القرآن الكريم إعجازا لا ينتهى الى يوم القيامة .. ففى كل جيل للقرآن الكريم عطاء .. ويمضى الزمن .. وتتغير الدنيا .. ويظل القرآن الكريم معجزة وإعجازا ..

إن القرآن الكريم قد نزل معجزة لغوية للعرب .. لأن العرب نبغوا فى البلاغة وفن الكلام .. ولذلك جاء القرآن الكريم يتحداهم فيما نبغوا فيه ..

المعجزة من الله لابد أن تتحدى البشر فيما نبغوا فيه .. لأنها لو تحدتهم فيما لا يعرفون أو لايتقنون .. لقالوا لو أننا تعلمناه أو اتقناه لاستطعنا أن نفعل اكثر مما جاءت به المعجزة .. ولكن الله سبحانه يأتيهم بما عرفوه واتقنوه .. ووصلوا فيه إلى قمة الحضارة فى وقتهم .. ثم يتحداهم فيه بمعجزة لا يقدرون عليها .. ليظهر عجزهم وضعفهم أمام قدرة الله سبحانه وتعالى .. علهم يؤمنون .

إن قوم فرعون .. اشتهروا بالسحر واتقنوا فنونه .. فجاءتهم المعجزة فيما أتقنوه .. وقوم عيسى نبغوا فى الطب .. فجاءت معجزة عيسى فى نفس نوع نبوغهم .. والعرب كانوا قوم بلاغة وفصاحة .. كانوا يتبارون بالشعر .. ويتفاخرون بالشعراء .. ويقيمون الأسواق التى يجتمع فيها الناس .. ليتبارى الشعراء بأشعارهم .. ولذلك جاء القرآن يتحداهم فيما نبغوا فيه .. وتصاعد التحدى أن يأتوا بمثل القرآن .. ثم أن

يأتوا بعشر آيات . . أو أن يأتوا بآية . . وفى ذلك يقول الحق، سبحانه وتعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

(الآية ٣٨ سورة يونس)

لكن لو كان القرآن الكريم إعجازا لغويا فقط لجمد . . وذلك لأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هى خاتم الرسالات وهى للدنيا كلها . . للعالم أجمع . . وليست للعرب وحدهم . . والمعجزة اللغوية تكون تحديا للعرب لأنه نزل بلغتهم . . أما بالنسبة للمسلمين من غير العرب فإن هذا التحدى يكون غير موجود . . لو أن القرآن الكريم اقتصر ـ فقط ـ على الاعجاز اللغوى . .

إذن كان لابد أن يكون التحدى ليس للعرب وحدهم . . ولكن للدنيا كلها . .

ومن هنا جاء القرآن الكريم . . ليمزق حجاب الغيب الى يوم القيامة . . ليعطى لكل جيل معجزة . . فمزق القرآن الكريم حجاب الزمن الماضى . . ومزق حجاب الزمن المستقبل . . ومزق حجاب المكان . . وهكذا مزق القرآن الكريم كل حجب الغيب . . ليعطينا معجزات لازالت باقية حتى الآن . . وستبقى إلى يوم القيامة .

كيف مزق القرآن الكريم حجاب الزمن الماضى ؟ لقد جاء بأنباء السابقين . جاء بها مصححة . . ليهدم أخطاء كانت قد شاعت . . وإضافات كانت قد أضيفت الى كتب الله . . وأكاذيب كانت قد قيلت عن كون الله سبحانه وتعالى . .

ان اول ما جاء به القرآن هو بداية الخلق وكيف حدثت ؟

لقد روى لنا قصة الخلق الأول لآدم وحواء ، وكيف أن الله سبحانه خلق كل شىء من ذكر وأنثى ليستمر تكاثر الخلق ، وجاء العلم الحديث ـ علم الاحصاء ـ شاهدا على ما رواه القرآن الكريم .

فقد أثبت علم الاحصاء . . أنه كلما مر الزمن . . تكاثر الخلق . . ومعنى ذلك أنه كلما عدنا الى الوراء . . قل عدد الخلق . . فلو فرضنا أن البشرية الآن ألوف الملايين من الأشخاص . . فقد كانت منذ عدة قرون مئات الملايين فقط . . ومنذ عدة قرون قبلها كانت عشرات الملايين . وكلما عدنا الى الوراء قل العدد حتى يصل الى عدة ألوف . . ثم إلى عدة مئات . . ثم إلى عشرات ، ثم إلى الأصل وهما ذكر وأنثى . . آدم وحواء . .

وهكذا مزق القرآن الكريم حجاب الماضى فى الخلق . . فروى لنا الرواية الصحيحة . . عن كيف بدأ الخلق ، كما مزق

ايضا حجاب المستقبل ، فأخبر أن هناك من سيأتون ليقولوا إن الانسان قرد ! ! وأن أصل الحياة كذا وكذا ، وسيأتون بنظريات كاذبة فلا تستمعوا اليهم ـ لأن هؤلاء مضلون ـ يريدون لكم الضلال . .

وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾

(الآية ٥١ سورة الكهف)

وتحققت نبوءة المستقبل . . وجاء من يضل . . ويقول إن أصل الخلق كذا . . ويفترون على الله الكذب . . ونقول إن هؤلاء جميعا جاءوا ليثبتوا صدق القرآن الكريم . . لأنهم لو لم يأتوا بنظرياتهم المضلة ـ لقلنا ان القرآن الكريم قد اخبرنا أن مضلين سيأتون . . وأنهم سيجادلون فى خلق السموات والارض وخلق الانسان . . ولكنهم لم يأتوا ولم يقل أحد شيئا عن خلق الانسان وخلق السموات والأرض . . فأين هم هؤلاء المضلون الذين اخبرنا عنهم القرآن الكريم ؟ ولكنهم جاءوا ، وكونهم قالوا ما قالوه . . جعلنا نقول سبحان ربنا العظيم . . أخبرنا بالمضلين فجاءوا ، وقال لنا انهم سيجادلون فى خلق السموات والأرض وخلق الانسان . . فجادلوا فيهما . . وهكذا استخدم الله سبحانه وتعالى الكفار والمضلين فى خدمة قضية الايمان . . واثبات صدق القرآن .

معجزة الخلق وإخبار الله عنها

لقد أخبرنا الحق جل جلاله فى القرآن الكريم . . أن كل شىء خلقه من ذكر وانثى . . فقال سبحانه :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(الآية ٤٩ سورة الذاريات)

وقول جل جلاله :

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾

(الآية ٤٥ سورة النجم)

ولابد أن نلاحظ أن كلمة زوج . . ليست معناها اثنين كما يتبادر الى أذهان بعض الناس . . بل إن معناها فرد واحد من شيئين متشابهين فى الخلق . . مختلفين فى الوظيفة . .

نجد هذا فى جميع خلق الله سبحانه وتعالى . . فالحيوانات كلها من ذكر وأنثى . . والحشرات كلها من ذكر وأنثى . . والنبات كله من ذكر وأنثى . . ولا يوجد مخلوق من ذكر دون أنثى . . أو من أنثى دون ذكر . . إلا فى المعجزات التى أراد الله سبحانه وتعالى أن يثبت فيها طلاقة قدرته فى الكون وفى الخلق . .

إن آدم عليه السلام خلق بدون ذكر أو أنثى . . خلقه الله مباشرة . . وجاء خلق حواء . . من ذكر بدون أنثى . . فقد خلقت من ضلع آدم . . وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾

(من الآية الأولى من سورة النساء)

وخلق الله سبحانه وتعالى عيسى بن مريم من أنثى بدون ذكر . . وهكذا تمت مراحل الخلق الأربعة : خلق بدون ذكر أو أنثى . . وخلق من ذكر بدون أنثى . . وخلق من أنثى بدون ذكر . . وخلق من ذكر وأنثى . . لتثبت طلاقة القدرة لله سبحانه وتعالى .

وهكذا فإن كل شىء فى الكون مخلوق من ذكر وأنثى ، ولابد من التلقيح للانجاب . . والعلم الحديث قد وصل الى ذلك أخيرا . . بحيث أنهم إذا أرادوا القضاء على آفة من الآفات . . أو حشرة من الحشرات ، فإنهم إما يقضون على الذكور . . وإما يقضون على الأناث . . فتنقرض الحشرة أو الآفة ، ولو بقى ذكر وأنثى . . لعادت الآفة أو الحشرة من جديد . . أشد مما كانت . .

اختيار من يكفل مريم

القرآن الكريم مزق حجاب الغيب بالنسبة للخلق . . ثم جاء القرآن الكريم ليمزق حجب الماضى . . فأخبرنا عن أشياء لم يكن يعرفها أحد . . واقرأ فى القرآن الكريم كل آية مسبوقة بقوله تعالى : « ما كنت » لتعلم كيف مزق القرآن حجب الغيب . .

وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾

(من الآية ٤٤ سورة آل عمران)

أى يامحمد . . ما كنت موجودا عندما أجروا القرعة فى شأن مريم . . لاختيار من الذى يكفلها . . ذلك أن مريم وهبتها أمها لله سبحانه وتعالى . . فلما وضعتها حملتها إلى الكهنة فى بيت المقدس . . وقالت لقد نذرتها إلى الله . . فأراد زكريا أن يتولى كفالتها وتربيتها . . ولكن الكهنة رفضوا ذلك . . لأن كلا منهم يريد أن يكفلها . . واتفقوا على أن يلقوا بأقلامهم . . ومن تخرج القرعة قلمه . . هو الذى يكفل مريم . . فأخرجت القرعة قلم زكريا عليه السلام فكفلها . . واقرأ قول الحق سبحانه :

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ
وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾

(الآية ٤٤ سورة القصص)

إن الله سبحانه وتعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم : إنك ما كنت هناك عندما كلم الله موسى بجانب الجبل الغربى فى طور سيناء . .

وقوله تعالى :

﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾

(من الآية ٤٥ سورة القصص)

أى وما كنت مقيما فى أهل مدين . . لتعرف ماذا حدث لشعيب عليه السلام . . وماذا قال لقومه وهو يدعوهم الى منهج الله . . وقول الحق جل جلاله :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ
أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ ﴾

(من الآية ٤٩ سورة هود)

وهكذا أخبر الله سبحانه وتعالى رسوله . . بشىء لم يكن يعلمه . . هو أو أحد من قومه . . لاثبات أن تمزيق حجب غيب الماضى هو من الله سبحانه وتعالى . . لأن الله تبارك وتعالى حين

مزق الماضى لرسوله صلى الله عليه وسلم . . إنما أظهر اشياء كانوا يحرصون على إخفائها . . بالنسبة لمنهج الله . . وصحح افتراءات على انبيائه كانوا يروجونها من ذلك ما ادعاه أحبار اليهود أن سليمان عليه السلام كان يحكم بالسحر وما تتلوه الشياطين . .

لقد أوحى الحق سبحانه وتعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بأنباء لم يكن هو يعلمها ولا قومه . . حتى لا يقول كافر . . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ هذا العلم عن فلان أو فلان . .

ان الوحى جاء بأموز لا يعلمها رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا قومه . . ليصحح ما أضافه الكهنة وغيرهم الى منهج الله . ليكون معلوما من الجميع . . أن هذا التصحيح من الله سبحانه وتعالى . . ليحق الحق ويزهق الباطل . . فلا يستطيع أحد أن يجادل . . والله سبحانه وتعالى يقول : « ذلك من أنباء الغيب » أى أن هذه الأنباء كانت غيبا لا يعلمها أحد . . وهى من الله جل جلاله لرسوله صلى الله عليه وسلم .

وهكذا مزق القرآن الكريم حجب الماضى .. ليصحح الديانات السابقة على الاسلام .. ويبين كيف أضيف اليها اشياء نسبت الى الله افتراء عليه ..

ثم مزق القرآن الكريم حجب المكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. واقرأ الآية الكريمة فى قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾

(الآية ٦ سورة طه)

وكان لابد أن يلتفت الناس الى قول الحق سبحانه وتعالى : « وما تحت الثرى » لأننا عرفنا الآن .. أن فى باطن الأرض ثروات أكثر .. من تلك التى فوق سطحها ..

وهكذا أنبأ الله تبارك وتعالى رسوله .. فى قرآن كريم لا يتبدل ولا يتغير الى يوم القيامة .. عما فى باطن الأرض .. وكان هذا غيبا عن الدنيا كلها . غيب مكان .. فلم يكن أحد وقت نزول القرآن يعرف أو حتى يتخيل .. أن فى باطن الأرض ثروات هائلة .. فجاء القرآن الكريم ومزق غيب المكان .. وأخبرنا عما فى باطن الأرض .. وأننا يجب ان نلتفت اليه .

وأعطى الله سبحانه وتعالى غيبا آخر .. من غيب المكان

لرسوله صلى الله عليه وسلم .. فى قوله تعالى :

﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ﴾

(الآيتان ١ ، ٢ ومن الآية ٣ سورة الروم)

وقت نزول القرآن فسرت « أدنى » على أنها قريبة من أرض العرب .. ثم جاءت الخرائط الجيولوجية .. التى صُوِّرَتْ أخيرا بالأقمار الصناعية لتثبت أن المنطقة التى جرت فيها المعركة الفاصلة قرب بيت المقدس .. هى أكثر الأماكن انخفاضا على سطح الأرض ، وكلمة أدنى تعنى المكان المنخفض .. وهكذا كشف القرآن الكريم غيب المكان مرة أخرى .. بأن ذكر أن المنطقة التى جرت فيها المعركة بين الروم والفرس .. هى أكثر الأماكن انخفاضا على سطح الأرض .. وهذا لم نعرفه إلا فى السنوات الأخيرة .

إن الله سبحانه وتعالى اعطى فى القرآن الكريم اعجازا جديدا فى المكان .. وإقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(الآية ٣٠ سورة الانبياء)

وهكذا أنبأنا القرآن الكريم عن الأصل الواحد للسموات والأرض .. وكيف تم الفصل بينهما ..

ولعلنا لازلنا نذكر تجربة صعود الانسان الى القمر . . وكيف كان العلماء يحلمون ـ قبل إتمام هذه التجربة ـ بالعناصر الغريبة التى سيجدونها على سطح القمر . . وكيف أن هذه العناصر سيكون فيها معادن ومواد كيماوية وغير ذلك مما لم يعرفها أهل الأرض من قبل . . وكيف أنها لو أضيفت الى العناصر الموجودة فى الأرض . . لنتج عنها مواد لم تعرفها البشرية . . وأطلقوا العنان لأحلامهم . . عن هذا الكشف الجديد . . الذى سيغير الكون . . واشتد الخيال وامتلأت الرؤوس بالأحلام . . ثم ماذا حدث ؟

صعد الانسان الى القمر . . ومشى فوق سطحه . . وجاء بعينات من الصخور على السطح . . ومن الصخور التى تحت السطح . . وعاد بها الى الأرض . . وبدأت المعامل تعمل بنشاط . . ثم جاءت النتيجة . . إن سطح القمر . . مكون من نفس عناصر سطح الأرض . . وأن صخور القمر فى تركيبها هى نفس صخور الأرض .

لقد انتهت الرحلة . . بأنهم اخذوا يوزعون صخور القمر على كبار زوار الولايات المتحدة .

هذه المسألة انتهت بعد ذلك . . لأن أحدا من الزوار لم يكن حريصا على أن يحصل على صخرة . . موجودة على سطح الأرض . . وانتهت الرحلات الى القمر تماما . .

إن الذين صعدوا الى سطحه . . اثبتوا أنه لا اله الا الله وأن

محمدا رسول الله . . كما أثبتوا اعجاز القرآن الكريم . . وكيف أنه من أربعة عشر قرنا أخبرهم بالحقيقة . . فلما صعدوا . . وجدوا هناك الحقيقة القرآنية .

ونستطيع ان نمضى أكثر وأكثر فى ضرب الأمثلة . . على أن الله سبحانه وتعالى كشف لرسوله صلى الله عليه وسلم غيب المكان ، ولم يكتف بكشف غيب المكان فى الأرض . . ولكنه كشفه فى السموات وفى أعماق البحار . . وفى باطن الأرض . .

هذه أماكن لم يكن الانسان يعلم عنها شيئا . . بل كانت غيبا بالنسبة له . . ثم كشف الله تبارك وتعالى من علمه للانسان . . ما جعل الغيب مشاهدا وحقيقة .

القرآن الكريم كشف ايضا من حجب الغيب . . حجاب النفس البشرية . . الله سبحانه وتعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بما يدور فى صدور المنافقين والكافرين ولم يقولوه . . فقال جل جلاله :

﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾

(من الآية ٨ سورة المجادلة)

هذه الآية الكريمة . . نزلت فى المنافقين والكافرين . . وقول الله سبحانه وتعالى : « ويقولون فى أنفسهم » دليل على أنهم أَسَرُّوها فى انفسهم ولم يخبروا بها أحدا . . ولولم يكن هذا الاخبار عنهم حقيقة ، وأنهم فعلا قالوه فى أنفسهم . . لقالوا ـ وهم الحريصون على الطعن فى هذا الدين وهدمه ـ إن محمدا جاء بكلام . يقول انه منزل من الله سبحانه وتعالى بأننا قلنا فى أنفسنا كذا وكذا . . ونحن لم نقل هذا الكلام . . ولا خطر على بالنا . .

ولكن القرآن الكريم نزل فكشف ما فى نفوسهم وأذهلهم . . وفوجئوا بالحقيقة . . حتى أنه لم يخطر على بالهم أن يقولوا اننا لم نقل هذا فى أنفسنا حتى على سبيل الادعاء والكذب !!

واذا قرأت سورة التوبة فى القرآن الكريم .. تجد فيها آيات كثيرة .. تنبىء رسول الله صلى الله عليه وسلم .. بما فى صدور المنافقين .. واقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾

(من الآية٥٨ سورة التوبة)

وقوله سبحانه :

﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾

(من الآية٦١ سورة التوبة)

ثم يأتى التحدى من الله تبارك وتعالى .. فى كل ما يخفيه المنافقون ويعتبر غيبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .. فيقول الحق جل جلاله :

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾

(الآية ٦٣ سورة التوبة)

وهكذا كشف الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم لرسول عليه الصلاة والسلام .. ما فى صدور المنافقين .. دون أن يجرؤ واحد منهم على أن يكذب ما أخبر به الله .. وأنزله فى القرآن الكريم ..

الله أخبرنا بما فى صدور المنافقين

إن الله سبحانه وتعالى . . فضح ما فى صدور المنافقين . . عندما جاءوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . ليشهدوا بأنه رسول الله حقا . . واقرأ فى سورة المنافقين قول الحق عز وجل :

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾

(الآية الأولى سورة المنافقون)

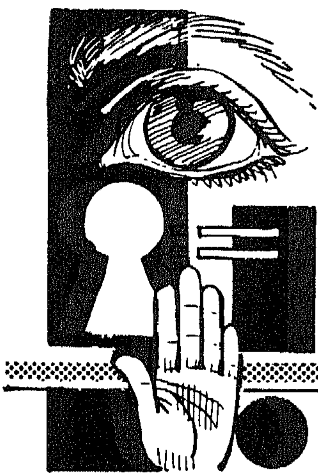
رغم أن المنافقين جاءوا ليشهدوا أن محمداً رسول الله . . والله تبارك وتعالى يعلم أن محمد صلى الله عليه وسلم رسوله . . ومعنى هذا أن قول المنافقين وافق شهادة الله سبحانه وتعالى . . ورغم ان القولين متفقان . . فإن الحق جل جلاله قد أكد فى نفس الآية أن المنافقين كاذبون . .

كيف يكونون كاذبين ، وقد شهدوا بماشهد به الله جل جلاله ؟ . .

نقول : لأن المنافقين قالوا هذا بألسنتهم . . شهدوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله . . باللسان . . ولكن قلوبهم منكرة لذلك غير مؤمنة بالله ورسوله . . فأخرج الله ما فى قلوبهم وفضح نفاقهم . . حتى فى شهادتهم بالرسالة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . .

لقد كشف القرآن الكريم حجاب الغيب الماضى وصحح كثيرا مما حرفوه فى كتب الله . . وكشف غيب النفس البشرية . . وأظهرما يخفيه الكافرون والمنافقون فى صدورهم . . فبهتوا ولم يستطيعوا ردا . . القرآن الكريم كشف ايضا حجاب المستقبل . . وأخبرنا عن أشياء ستقع بعد أيام . . وأشياء ستقع بعد سنوات . . واشياء بعد قرون . . وكلها تحققت . . مما يدل على أن القرآن الكريم . . كشف حجب الغيب كلها . . لنعلم ان الله سبحانه وتعالى هو القائل . . وهو الفاعل . . وأنه جل جلاله لا غيب عنده ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء . .

الفصل الثالث



أشياء يبديها
.. ولا يبتديها

الله جل جلاله يعلم الزمن من حُجُب
الغيب .. والزمن المستقبل ، هو حجاب
الغيب الذى يحاول كثير من الناس أن يعرفوا
أحداثه بالالتجاء الى العرافين والمنجمين
وغيرهم .. وهم ينفقون على ذلك الكثير ..
ولا يتنبهون إلى أن من رحمة الله .. سبحانه
وتعالى .. أنه جعل المستقبل غيبا لايعرفه أحد ..

ولكن الناس تتعجل الأحداث .. وتريد أن تعلم مايخفيه الله سبحانه وتعالى فى قدره .. ولو تنبهوا قليلا .. لما سعوا الى ذلك .. ولسجدوا لله شكرا على أنه حجب عنهم أحداث المستقبل .. وإلا لفسدت الحياة وأصبحت جحيما ..

وعلى سبيل المثال .. لو أن الله تبارك وتعالى كشف لنا حجاب المستقبل ، فكيف ستكون حال أُمٍّ عرفت أن ابنها سيموت عندما يبلغ من العمر عشرين عاما .. ماذا يكون شعور الأم وهى ترى ابنها كل يوم .. وتعرف ما سيحدث له .. وكيف يمكن أن تعيش ؟ .. وكيف تكون حياتها وهى تنظر الى ابنها كل صباح ومساء .. وتعرف انها ستفقده فى يوم معين أو سنة بعينها ، بينما هو يكبر أمام عينيها عاما بعد عام .. ويزداد فتوة ورجولة .. كيف ستكون حياة هذه الأم ؟ ..

أليس من رحمة الله بها .. أنه أخفى عنها أحداث المستقبل .. لتعيش سعيدة تحلم وتخطط .. الى أن يقع قدر

الله . . فتكون قد أعطيت عشرين سنة من السعادة . . بدلا من عشرين سنة من الشقاء فى انتظار الأجل المحتوم .

كيف يمكن لرجل يرى مستقبله أمامه ويعرف أن ثروته ستضيع ويصبح فقيرا . . أو أنه سيفقد وظيفته ويصبح عاطلا . . أو سيتركه أولاده عندما يبلغ سن الشيخوخة وحيدا . . وسيلقون به فى ملجأ للعجزة . . كيف تكون حياة مثل هذا الرجل؟ . . وكيف يمكن أن يعيش؟ . .

إنه الذى يعطينا الأمل فى الحياة ، ويعطينا قدرة التحمل والسعى والمشقة ، وغير ذلك مما تحتويه الحياة الدنيا من تعب ، هو أننا نأمل أن المستقبل سيكون أحسن من اليوم . . وأن ما هو قادم سيزيل متاعبنا ويفتح أمامنا الأبواب المغلقة . . ويظل هذا الأمل يملأ قلوبنا . . وأحداث الحياة تمضى بخيرها وشرها ، بحلوها ومرها . .

إن هذا الأمل فى الغد . . هو الذى يدفعنا الى العمل . . والى عمارة الأرض . . والى كل ماتتطلبه الحياة الدنيا . .

لكننا لو عرفنا أحداث المستقبل . . وما تحمله لنا من كوارث . . لما عملنا شيئا . . بل ربما دفعنا هذا الى الانتحار والعياذ بالله . . تخلصا مما عرفناه قادما . . وكرهنا أن نستمر فى الحياة حتى يقع لنا .

وهكذا نرى أن الله سبحانه وتعالى . . أخفى عنا أحداث المستقبل رحمة بنا . . وحتى نُقْبِل على الحياة الدنيا بأمل . . بدلا

من ان نعيشها بألم . . وأن نتمتع بحياتنا بدلا من أن نشقى بها . . هذه رحمة الله التى يرفضها عدد من البشر . . وهم يحاولون جاهدين . . بل وينفقون المال ليعرفوا ماذا سيقع فى المستقبل !

ان الله سبحانه وتعالى . . له فى قضائه دائما رحمة . . فماذا لو علمنا القضاء وغابت عنا الرحمة ؟ . . والله سبحانه وتعالى له فى كل قدر حكمة . . ولكننا أحيانا لاندركها . . إن اخفاء المستقبل هو رحمة بالبشرية كلها . .

نأتى بعد ذلك الى الاشياء . . التى مزق فيها القرآن حجب الغيب . . إن أول مثل نبدأ به هو الحرب بين الفرس والروم ، لقد قامت الحرب بين الفرس والروم وانتصر الفرس . . ولأن الفرس أمة كافرة . . فرح الكفار . . ولأن الروم أهل كتاب . . حزن المؤمنون .

الحرب قامت بين دولتين عظميين فى هذا الوقت . . ولا علاقة لها بالاسلام ولابمنهجه . . ولكن الله سبحانه وتعالى . . يثبت قضية حق فى الكون . . وهى أنه ينصر من فى قلبه ايمان على من يملأ الكفر قلبه . . والفرس كفرة يعبدون النار . . والروم من النصارى . . وهم أهل كتاب ، واذا بالقرآن الكريم ينزل على رسول الله . . فى قوله تبارك وتعالى :

﴿ الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

(الآيات من ١ ـ ٥ سورة الروم)

نزلت هذه الآيات الكريمة . . تعلن أن الروم سينتصرون بعد بضع سنين . . وفى وقتها قال الكفار . . هذا كلام من عند محمد . . الروم لن ينتصروا . . وقال المؤمنون هذا كلام من عند الله تبارك وتعالى . . مُنَزَّل على محمد صلى الله عليه وسلم . . « الروم سينتصرون » . .

واحتدم الخلاف . . ووصل التحدى أن راهن الكفار على أن الروم لن ينتصروا . . وراهن المؤمنون على أن الروم سينتصرون . . وكان من المراهنين سيدنا أبوبكر الصديق رضى الله عنه . . الذى راهن بأربع من الابل . . على أن انتصار الروم سيتم بعد سبع سنين . .

ومضت السنوات السبع . . ولم يحدث قتال ولم ينتصر الروم . . وفرح الكفار وبدأوا يشككون المسلمين فى قرآنهم ودينهم . .

لقد ذكر أبوبكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . فقال له الرسول : ما بضع سنين عندكم ؟ فقال أبو بكر دون العشر . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر رضى الله عنه . . اذهب فزايدهم وازدد سنتين فى الأجل . .

ولم تمض السنتان حتى انتصر الروم على الفرس . . وفرح المؤمنون . . ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أبا بكر والصحابة عن المراهنة . . وقال لهم إن الاسلام لايقرها ولايسمح بها . .

وهنا لابد أن نتساءل . . من الذى يستطيع أن يحدد نتيجة معركة حربية ستحدث بعد تسع سنوات ؟ . . بل ويحدد المنتصر فيها والمهزوم . . وينزل ذلك فى قرآن كريم . . متعبد بتلاوته لايتغير ولايتبدل الى يوم القيامة . . من الذى يضمن الأحداث تسع سنوات كاملة ؟ . . ومن الذى يضمن بقاء العداء طوال هذه السنين ؟

ألم يمكن هناك احتمال أن يتفق قادة الروم والفرس على الصلح ولاتحدث معركة ؟ . . ألم يكن هناك احتمال ان تحدث المعركة . . وينتصر فيها الفرس ؟ . . انهما دولتان كبيرتان . . وفترة الاستعداد للحروب بينهما أخذت تسع سنوات . . ألم يكن ممكنا أن يحسن الفرس خلال هذه السنوات التسع استعدادهم ويطوروا سلاحهم بما يحقق لهم النصر على الروم ؟ . .

ثم لماذا يتحدث القرآن الكريم عن هذه المعركة . . وهو كتاب منهج . . وهذه المعركة بعيدة عن المنهج . . ولكن لأن احداث الكون كلها فى علم الله سبحانه وتعالى . . ولأن قائل القرآن . هو خالق الكون . . الذى لايمكن أن يخرج شىء فى كونه عن ارادته ومشيئته . . ولأنه سبحانه وتعالى اذا قال للشىء « كن » فيكون . . نزل القرآن بأمور هى فى علم الله تبارك وتعالى . . يبديها ولا يبتديها . .

لقد بين لنا القرآن الكريم . . حكم الله وقضاءه فى معركة حربية تحدث بعد تسع سنين . . ومع أن أحدا لايستطيع أن يتنبأ

بنتيجة معركة حربية . . حتى وقت بدايتها أو حتى أثناء سيرها ، فكل طرف يدخل المعركة وهو واثق من النصر . . وإلا ما دخلها . . ثم تدور الأحداث . . وتأتى نتيجة المعركة . . وفق قضاء الله جل جلاله فيها .

وبهذا يكون القرآن الكريم . . قد مزق حجب غيب المستقبل فى معركة ستقع بعد تسع سنوات . . لنعلم أن الله سبحانه وتعالى . . عنده غيب السموات والأرض . . وأنه جل جلاله . . فعال لما يريد . .

ويمضى القرآن الكريم .. فى تمزيق حجب غيب المستقبل .. إن كل آية تبدأ بحرف (السين) تعنى أن الاحداث فيها سوف تقع فى المستقبل .. فمتى قلت سأفعل .. فمعنى ذلك انك لم تفعل بعد .. وإلا ما استخدمت حرف السين .. معناه أن الفعل سيحدث مستقبلا .. فهو لم يحدث ماضيا ولا حاضرا .. ولكنه سيأتى فى المستقبل ..

يقول الحق تبارك وتعالى فى محكم كتابه فى مسألة تحويل القبلة :

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾

(من الآية ١٤٢ سورة البقرة).

وكون الحق سبحانه وتعالى قال : « سيقول السفهاء » .. معنى ذلك انه وقت نزول الآية لم يقولوا شيئا ، ولكن الله يعلمنا انهم سيقولون ذلك مستقبلا .. وقد وصف الله تبارك وتعالى .. الذين سيقولون هذا الكلام بأنهم « السفهاء من الناس » ..

لقد وضع الله سبحانه وتعالى ـ بكشفه عما سيقوله غير المؤمنين فى المستقبل ـ قضية من قضايا الدين ، بين يدى أعداء الدين يمكنهم بها هدم الدين ، لو أنهم امتنعوا عن هذا القول الذى

أخبر به الله .

لقد كان فى مقدور الكفار وأهل الكتاب . . ألا يقولوا شيئا عن تحويل القبلة . . ثم يقولوا للمؤمنين لم يقل أحد شيئا . . القرآن قال اننا سنقول . . ولكننا لم نقل . .

ولكن لأن القرآن مَزَّقَ حجب الغيب . . قالوا . . وأتوا مثبتين لقضية الايمان فى الوقت الذى يريدون فيه هدمها .

ثم نأتى بعد ذلك الى الآية الكريمة التى نزلت فى مكة . . والمسلمون قلة . . ضعفاء لاحول لهم ولاقوة . . واذا بالقرآن الكريم ينزل فيقول الله جل جلاله :

﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾

(الآية ٤٥ سورة القمر)

وعندما نزلت هذه الآية الكريمة . . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه . . أى جمع هذا ؟ . . ونحن قلة مستضعفة ؟ . .

ومرت السنوات . . وهاجر المؤمنون الى المدينة . . ووقعت معركة بدر . . أول غزوة انهزم فيها الكفار . . وانتصر فيها المسلمون . . مع أن الكفار كانوا جمعا كبيرا . . والمؤمنون كانوا قلة . .

كان الكفار فى هذه المعركة يقاربون الألف . . والمؤمنون حوالى ثلاثمائة . . ومع ذلك انهزم الكفار وهم الجمع الكبير . .

وانتصر المؤمنون وهم القلة .. وحينئذ بكى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. وقال صدقت يارب : « سيهزم الجميع ويولون الدبر »

ولكن القرآن الكريم .. لم يمزق حجب الغيب فى الأحداث التى تقع من الله سبحانه وتعالى وليس للانسان اختيار فيها .. بل انه اثباتا لطلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى .. مزق القرآن حجب الغيب فى الافعال التى للانسان فيها اختيار أعطاه الله تبارك وتعالى له .. بحيث يستطيع أن يفعل .. أو لا يفعل كما يشاء ..

ان قضية الايمان .. شاء الله سبحانه وتعالى أن يكون الانسان مختارا فيها .. يستطيع ان يؤمن ، كما يستطيع ألا يؤمن .. ويستطيع اللسان أن يشهد أن لا اله الا الله محمد رسول الله .. ويستطيع أن ينطق كلمة الكفر والعياذ بالله . حسب اختيار صاحبه ..

وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

(من الآية ٢٩ سورة الكهف)

جاء القرآن الكريم فى هذه القضية الاختيارية .. ليمزق حجب الغيب ..

واقرأ قول الحق جل جلاله :

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾

(الآيات من ١ - ٥ سورة المسد)

هذه السورة نزلت فى أبى لهب . . عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لتقول انه سيموت كافرا ويدخل النار . . ونزلت كما قلنا فى قضية اختيارية . . هى قضية الايمان .

ماذا كان يمكن أن يحدث لو أن أبا لهب عندما نزلت هذه السورة . . وتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين . . ماذا كان يمكن أن يحدث . . لو أن أبا لهب جمع القبائل . . وقال لهم إن محمدا قال فى قرآن . . يَدَّعِى انه ينزل من السماء . . اننى سأموت كافرا وسأدخل النار . . وأنا أعلن أمامكم اسلامى . . وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . . لتعلموا أن محمدا لايوحى اليه بشىء . . وأن هذا الكلام من عنده . . وليس من عند الله . .

لو قال أبو لهب هذا نفاقا أورياء أو كذبا . . لهدم قضية الدين من أساسها . . وبخاصة أنه من ألد أعداء هذا الدين . . ولكن رغم أن الله سبحانه وتعالى وضع فى يد أعدى أعداء

الاسلام قضية يمكن بها أن يهدم الدين كله . . الا أن أبا لهب لم يخطر على باله أن يفعل ذلك . .

وهكذا مزق القرآن الكريم حجب غيب المستقبل . . حتى فى الاشياء الاختيارية . . وكان من الممكن أن يهتدى أبو لهب للاسلام . . كما اهتدى كثير من الكفار . .

إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هداه الله من الكفر الى الايمان . . وأبوسفيان . . وخالد بن الوليد . . وعمرو بن العاص . . وعكرمة بن أبى جهل . . كل هؤلاء كانوا من أئمة الكفر . . ولكن الله سبحانه وتعالى هداهم للايمان . . وحسن إسلامهم . . وأصبحوا من الذين نصروا هذا الدين . . ونشروه فى الدنيا كلها .

والله سبحانه وتعالى .. مزق حجب غيب المستقبل .. بالنسبة للجسد البشرى .. فالقرآن الكريم ذكر لنا تطور الجنين فى بطن أمه .. بدقة هائلة عجز عنها العلم الحديث .. **قال الله** تبارك وتعالى فى كتابه العزيز :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾

(الآيات من ١٢ - ١٤ سورة المؤمنون)

لقد حدد القرآن تفصيلا قضية الخلق .. فذكر أولا أن خلق الانسان من طين .. ومعنى ذلك أنه حدد المادة التى خلق منها الانسان .. وهى الطين .. والطين موجود فى كل مكان فى الأرض .. والعلماء أخذوه وحللوه .. فوجدوا أنه يتكون من ثمانية عشر عنصرا .. منها الحديد والبوتاسيوم .. والمغنسيوم والصوديوم والكالسيوم .. وغير ذلك من المواد .. ووجدوا أن

جسم الانسان يتكون من نفس العناصر التى يتكون منها الطين . . ثم راقبوا وصوروا . . بعد اكتشاف الأجهزة العلمية الحديثة . . التى تستطيع أن تصور مافى رحم الأم . . فوجدوا أنّ تطور الجنين . . مطابق تماما وبمنتهى الدقة للأطوار التى ذكرت فى القرآن الكريم . .

ان الله سبحانه وتعالى كشف لنا غيبا فى مراحل الخلق داخل رحم الأم لم يكن أحد يعرفه . . ولايستطيع أن يصل اليه وقت نزول القرآن الكريم . . لأن هذا يحتاج الى اجهزة علمية مكبرة ودقيقة . . لم يكن العالم يعرفها منذ أربعة عشر قرنا . .

كذلك مِّن معجزات القرآن الكريم . . إن الله سبحانه وتعالى . . حين أخبرنا عن أهل الكهف . . ورقادهم الطويل فى الكهف . . قال جل جلاله :

﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾

(من الآية ١٨ سورة الكهف)

ثم جاء الطب الحديث . . ليثبت أن المريض اذا أصيب بمرض أفقده قدرة الحركة . . وألزمه الفراش لفترة طويلة . . فإنه لابد أن يُقلبَ يمينا ويسارا . . حتى لايصاب جسده بقروح . . تسبب له مشاكل صحية خطيرة . . والله سبحانه وتعالى . . أنبأنا أيضا عن غيب الجسد البشرى . . إن الأعصاب موجودة تحت الجلد مباشرة . . وأنه اذا احترق جلد الانسان . .

فأنه لايحس بالألم . . فقال عز وجل . . عن أهل النار . . وهم يعذبون فيها :

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾

(من الآية ٥٦ سورة النساء)

لقد وصل العلم . . الى دراسات دقيقة عن الأعصاب . وأثبت أن أطراف الاحساس . . موجودة تحت الجلد مباشرة . . فاذا احترق الجلد لايحس الانسان بالألم . .

على أن القرآن الكريم تحدث عن كثير من قضايا المستقبل . . لكن عندما زال عنها حجاب زمن المستقبل . . وأصبحت حاضرا . . تبين لنا دقة ماكشف عنه القرآن الكريم من اسرار الغيب . . ولازلنا كلما مر الوقت . . وكشف الله سبحانه وتعالى لنا من علمه فى الكون . . وجدنا أن القرآن الكريم . . قد مزق حجاب غيب المستقبل . . وأنبأنا بما سيحدث قبل أن يحدث . . ذلك أن الله سبحانه وتعالى عنده غيب السموات والأرض .

واذا كان الله سبحانه وتعالى . . قد كشف لنا كل حجب الغيب فى القرآن الكريم . . فذلك لنعلم أن الله سبحانه وتعالى وحده . . هو الذى يعلم الغيب . . ولا أحد غيره يعلمه . . ولم يصل مخلوق ولاكتاب . . وقت نزول القرآن الكريم . . ولابعد نزول القرآن . . الى أسرار الكون .

بل ان العلم الحديث . . قد أثبت انه لايوجد أى تصادم بين الحقائق العلمية وبين القرآن الكريم . . وعندما نقول الحقائق العلمية . . فاننا نعنى الحقيقة فعلا . . وليس الزيف أوالظن أو التخمين . أو غير ذلك . .

إننى مازلت أذكر أن جامعة كاليفورنيا فى أمريكا . . قد أعلنت منذ سنوات انها وصلت الى الحلقة المفقودة بين الانسان

والقرد . . وأنها عثرت فى الحفريات على جمجمة قرد ووجه انسان . . ثم اتضح إن نصابا بارعا . . قد جاء بجمجمة القرد ووجه الانسان . . ولحمهما بطريقة غاية فى البراعة . . لم تكشفها إلا اجهزة عالية الدقة .

متى يحدث التصادم بين القرآن والعلم

إن التصادم بين القرآن الكريم والعلم .. يحدث لسببين .. إما لأن الحقيقة العلمية مزيفة .. أو الآية القرآنية أسيء فهمها وتفسيرها .. فالله سبحانه وتعالى .. يقول فى كتابه الكريم :

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا ﴾

(من الآية ١٩ سورة الحجر)

ومعنى المد .. البسط .. وعندما نزلت هذه الآية الكريمة .. لم يكن هناك تصادم .. بين ماتراه العين وماذكره القرآن الكريم .. فالانسان يرى الأرض أمامه ممدودة أى مبسوطة .. ثم كشف الله جل جلاله لخلقه ماشاء من أسرار كونه .. وأثبت العلم أن الأرض كروية .. ثم حدث غزو الفضاء .. والتقط رواد الفضاء .. صورا للأرض تبين أنها كروية ..

هنا ثار بعض علماء الدين واتهموا من يقول إن الأرض كروية بالكفر .. ذلك لأنهم لم يفهموا حقيقة الآية القرآنية .. فالله سبحانه وتعالى يقول : « والأرض مددناها » .. أى بسطناها .. ولكنه لم يقل أى أرض ..

ولذلك عندما تذهب .. الى أى مكان فى الأرض .. تجدها مبسوطة أمامك .. ولايمكن أن يحدث هذا الا اذا كانت الأرض

كروية . . بل انها لوكانت مسدسة أو مربعة . . أو مثلثة أو على أى شكل آخر . . لوصلت فيها الى حافة . . لاتجد بعدها أمامك أرضا ممدودة . .

ولكن الشكل الوحيد . . الذى اذا وصلت فيه الى أى بقعة من الأرض . . ووجدتها أمامك ممدودة . . هو أن تكون الأرض على هيئة كرة . . وأنت إن اخذت الطائرة . . من أى بقعة من بقاع الأرض . . وطرت بها فى خط مستقيم فإنك ستعود الى المكان الذى بدأت منه . . ولايمكن أن يحدث ذلك . . الا اذا كانت الأرض كروية . .

وكل الباحثين . . حتى فى دول الغرب . . التى تحاول أن تشكك فى القرآن الكريم . . وتنفق مبالغ هائلة على ذلك . . لم يستطع باحث واحد أن يثبت أن هناك تضاربا بين قوانين الكون والقرآن الكريم . . بينما هناك ابحاث كثيرة تثبت أن هناك تضاربا بين الكتب التى نزلت قبل القرآن . . وبين حقائق الكون . . ذلك لأن أهل هذه الكتب حرفوها . . وجاءوا بكلام من عندهم . . وادعوا انه كلام الله !!

ماذا عن المُغَيَّبَات الخمس ؟

لقد حدث ـ فى الفترة الاخيرة ـ جدال كثير حول المغيبات الخمس .. والتى اختص الله سبحانه وتعالى بها نفسه .. ولم يُطْلِعْ عليها أحدا من خلقه .. وهى التى وردت فى القرآن الكريم .. فى قول الله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾

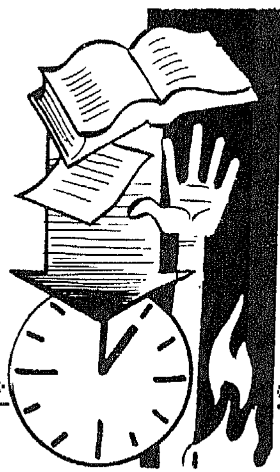
(الآية ٣٤ سورة لقمان)

لقد قالوا ان هذه المغيبات قد انكشف بعضها .. وادعوا أن الانسان يستطيع الآن أن يُنْزِلَ الغيث .. وأنه بالكشف الطبى يستطيع العلم الآن ان يحدد نوع المولود .. أهو ذكر أم أنثى .. بعد أن تحمل به أمه .. وأن هناك نبوءات عن يوم القيامة .. وهى أن القيامة ستقوم عام ٢٠٠٠ أو بعد ذلك بسنوات قليلة !! وادعوا أن الطب بعد أن تقدم يستطيع ان يحدد لنا فترة الحياة الباقية فى عمر الانسان .. بل انهم ادعوا أن الطب الحديث قد استطاع أن يطيل عمر البشر ..

فى الدول المتقدمة فى الرعاية الصحية زاد فيها متوسط عمر الانسان عن الدول المتخلفة .. قالوا انهم يستطيعون الآن .. باستخدام الكومبيوتر .. أن يحددوا عادات الشراء عند الانسان .. وبذلك فإنهم يستطيعون تحديد متوسط دخل أو رزق أى محل من المحلات التجارية .. بعرض السلع بشكل معين .. يتوافق مع عادات الشراء ..

وقالوا كلاما كثيرا غير ذلك .. ولكن كل هذا الكلام غير صحيح .. وملىء بالخداع .. وفيه عدم فهم لمعنى آيات القرآن الكريم ..

الفصل الرابع



وعنده علم الساعة

المغيبات الخمسة ، هى الأمور التى اختص الله سبحانه وتعالى بها نفسه .. وجعلها فى علمه .. لايطلع عليها أحد ..

فى هذه الأيام بدأ عدد من الجهلاء .. يحاولون أن يوهموا الناس بأن هذه المغيبات قد انكشفت .. أو أن بعضها على الأقل قد انكشف .. ومن أول الأشياء التى تحدثوا عن انكشافها .. موعد القيامة أو يوم القيامة ..

لقد حاول بعض العرافين فى أمريكا والهند .. أن يحددوا موعد يوم القيامة .. ففى أمريكا ومنذ عدة سنوات .. تنبأ بعض المنجمين بموعد القيامة وحدَّدُوه .. وصدَّقهم كثير من الناس .. وفى اليوم الذى حددوه ليوم القيامة .. خرج كثير من الناس من منازلهم .. وصعدوا إلى الجبال ، كأن الجبال ستحميهم من قضاء الله وقدره .. مع أن الجبال ستنسف عندما تأتى الساعة !!

إن هذا التصرف بالنسبة لغير المؤمنين لم يتغير منذ بدء الخليقة .. لأنه باطل .. والباطل أساليبه محدودة .. لأنه فكر بشرى .

هؤلاء الذين صعدوا الى قمم الجبال .. فعلوا كما فعل ابن نوح عليه السلام عندما جاء الطوفان .. صعد الى قمة جبل ليحميه .. وعندما طلب منه نوح .. أن يركب معه فى السفينة

ـ باعتبارها السبيل الوحيد للنجاة من الطوفان ـ قال إنه سيحتمى بالجبل . . كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى فى قوله جل جلاله :

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾

(الآيتان ٤٢ ، ٤٣ سورة هود)

وهكذا نرى منطق الكفر ومنطق الايمان . . الكافر يحسب أن هناك من يستطيع أن ينجيه من قَدَرِ الله . . والمؤمن يعرف يقينا أنه لا نجاة من قَدَرِ الله . .

هؤلاء الذين صدَّقوا المنجمين الأمريكيين عن موعد يوم القيامة . . تصرفوا نفس تصرف الكفار فى عهد نوح . . حينما حسبوا أن الجبال ستحميهم من قَدَرِ الله . . ويأتى المنطق الايمانى من نوح عليه السلام كما يروى لنا القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾

(من الآية ٤٣ سورة هود)

وفى الهند تنبأ العرافون .. عشرات المرات بموعد القيامة .. ولم تتحقق أية نبوءة منها .. ولكن الجديد فى هذه الأيام .. أن بعض الناس قد استخدموا القرآن الكريم فى التنبؤ بموعد يوم القيامة !! وأعطى بعضهم أرقاما من عنده لفواتح السور .. وقال إن القيامة ستقوم فى عام ٢٠٠٠ ، وبعضهم قال فى عام ٢١١٣ .. وغير ذلك من الخرافات التى نقرأها .. والتى لاتمثل إلا أكاذيب ..

وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى
ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى
نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾

(الآية ٣٤ سورة لقمان)

هذه هى المغيبات الخمسة .. التى اختص الله تبارك وتعالى بها نفسه .. والتى سنتناولها بالتفصيل .. فى هذا الفصل .. والفصل القادم من هذا الكتاب إن شاء الله ..

إن السؤال عن موعد الساعة ليس جديدا .. بل هو مطروح من قديم الأزل .. وقد سئل الأنبياء عن موعد قيام الساعة ..

والناس لازالت تتساءل إلى يومنا هذا عن هذا الموعد . . مع أن الانسان تنتهى علاقته بالدنيا فى سنوات قليلة . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حديث شريف : (من مات فقد قامت قيامته) . . وذلك أنه يرى الجنة والنار والملائكة . . ويصبح الغيب عنده مشاهدا . . ولكن السؤال لايتوقف . .

يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الآية ١٨٧ سورة الأعراف)

وقوله سبحانه وتعالى « يسألونك » . . الخطاب هنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . ولكن من السائل ؟ . . هل هم الكفار ؟ . . طبعا لا . . لأن هؤلاء لايؤمنون بالساعة فكيف يسألون عنها ؟ . . إذن فلابد أن يكون السائل من الذين يؤمنون بالساعة . . والذين سألوا هم اليهود . . لأنه فى كتابهم أن الله جل جلاله وحده . . هو الذى يعلم موعد الساعة . . ولايعلمها غيره . .

لقد أرادوا بهذا السؤال . . امتحان رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وحسبوا أنه سيعطيهم إجابة . . ويقول لهم إن موعد

الساعة هو كذا . . فيتخذون من هذه الاجابة . . وسيلة للطعن فى الاسلام . . لأن الذى يأتى بمنهج دنيوى . . يحاول أن يوهم الناس بأنه يعلم كل شىء :. ليجذبهم إلى منهجه . . ولكن الذى يبلغ منهج السماء . . لايضيره ألا يعلم أشياء . . لأنه فى هذا يكون شاهدا على أن الكمال فى العلم هو لله وحده . .

لقد سأل اليهود . . رسول الله ﷺ عن الروح ، وعن ذى القرنين . . وكان الجواب منه ﷺ مطابقا لما عندهم فى التوراة . . إلا فى نقطة واحدة هى قصة أهل الكهف . . فى قوله تعالى :

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾

(من الآية ٢٥ سورة الكهف)

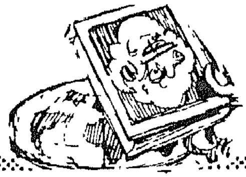
فقال اليهود : نحن نعرف الثلاثة مائة سنين . . ولكن التسع الزيادة لانعرف عنها شيئا . . وكانت التسع الزيادة . . لأن الله تبارك وتعالى . . يؤرخ لكونه بالحساب القمرى . . وهو أدق الحسابات . . وأن الله سبحانه قد شاء . . للحساب القمرى أن يولد . . ويكون هو حساب أمة محمد عليه الصلاة والسلام . . والسنة القمرية تقل عن السنة الشمسية بأحد عشر يوما وثلث يوم . . والثلاث مائة سنة شمسية . . تساوى ثلاث مائة وتسع سنوات قمرية . .

السؤال هنا عن الساعة . . ومتى تقع ؟ . . والجواب أن الساعة علمها عند الله . . وأنه : « لايجليها لوقتها ـ أى يظهرها ـ إلا هو » فالجلوة أن يظهر الشىء للناس . . والله سبحانه وتعالى لايظهر الساعة إلا لوقتها . . أى ساعة حدوثها . . ومعنى ثقلت . . أن تكون الكتلة المحمولة أكبر من

الطاقة التى تحملها . . لأن الكتلة أو الوزن . . إذا كان أقل من الطاقة . . لايكون الشيء ثقيلا . .

إنك إذا حملت شيئا وزنه كيلو أو (اثنين كيلو) . . لايكون هذا ثقيلا . . لأن قوة ذراعك أكبر كثيرا من الثقل الذى تحمله . . ولكن إذا حاولت أن تحمل مائة كيلو مثلا . . حينئذ يكون الشيء ثقيلا . . لا تستطيع أن تحمله . .

ولكن الثقل هنا شيء مادى . . فكيف يقول الحق سبحانه وتعالى : « ثقلت فى السموات » . . وكيف يكون الثقل فى السموات ثقلا ماديا ؟ . . نقول : إن الثقل يكون ماديا وفكريا وعقليا . . تماما كما تعطى طالب السنة الأولى فى كلية الهندسة . . تمرينا مقررا على طالب السنة النهائية . . إنه لايستطيع حله . . ويقول إن هذا التمرين ثقيل على . . أى لايستطيع عقله أن يتحمله . . وكذلك يكون شيئا ثقيلا على النفس . . عندما تجلس مع انسان تكرهه يضيق صدرك . . وتقول : إن هذه كانت زيارة ثقيلة . . أى على نفسك . . وهذا أقسى أنواع الثقل . .



الحق سبحانه وتعالى يقول : « ثقلت فى السموات » . . والسموات فيها الملائكة . . والملائكة لايعرفون موعد الساعة . . ومن الملائكة من هم مسخرون لخدمة البشر . . الله سبحانه وتعالى جعلهم يسجدون لآدم . . وسخرهم لخدمة البشر . .

هؤلاء الملائكة يفرحون بالعبد الطائع . . ويضيقون بالعبد العاصى . . وهم يستعجلون الساعة . . حتى يروا الجزاء للمطيع ، والعقاب للعاصى . . فالساعة ثقيلة على صدورهم . . لأنهم يرون العاصى محاطا بنعم الله . . بينما يزداد عصيانا له سبحانه وتعالى . . فيملأ صدورهم الغيظ . . ويتمنون سرعة العذاب له على عصيانه . . ويرون ابتلاءات المؤمن فى الدنيا . . فيتمنون سرعة قيام الساعة لينال المؤمن الثواب على طاعته . .

إذن فالساعة ثقيلة فى الأرض . . لأن أحداثها هائلة . . ولأن كل من يؤمن بها يخشاها . . ثقيلة فى السماء . . لأن الغيظ يملأ نفوس الملائكة وهم يستعجلون وقوعها . .

والساعة لا تأتى إلا فجأة . . ورسول الله ﷺ يقول : « لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت

ورآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ، أوكسبت فى ايمانها خيرا ،" ولتقومن الساعة ، وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لِقْحَتِهِ (ناقته) فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة ، وهو يَلِيطُ(١) حوضه ، فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه ـ فمه ـ فلا يطعمها » .

إن الساعة ستأتى بلا مقدمات . . فلا يستطيع أن يتنبأ بها أحد . . حتى قبل حدوثها بدقائق . . ويفاجأ بها الناس جميعا . .

والله جل جلاله يقول لرسوله : « يسألونك كأنك حفى عنها » . . والحفى هو المُلِحُّ فى طلب الشىء . . وهم يحسبون أن رسول الله ﷺ يُلِحُّ على ربه . . ويسأله دائما عن موعد الساعة . .

(١) يَلِيطُ حوضه يكسوه بالْجَصِّ حتى لايتسرب منه الماء .

أن الله سبحانه وتعالى .. قد أخفى موعد الساعة عن كل خلقه حتى الملائكة المقربون .. وقد قال رسول الله ﷺ :

إن الله تبارك وتعالى .. لما فرغ من خلق السموات والأرض .. خلق الصُّورَ فأعطاه اسرافيل .. فهو واضعه على فمه .. شاخص ببصره إلى العرش .. ينتظر متى يؤمر بالنفخ فى الصور .. ويقول الله سبحانه وتعالى .. فى كتابه العزيز عن القيامة :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾

(الآية ٦٨ سورة الزمر)

وهكذا نعرف أنه حتى إسرافيل .. الملك المكلف بالنفخ فى الصُّور .. إيذانا ببدء القيامة لايعرف موعدها .. وأنه منذ كلف بهذه المهمة .. وهو واقف وبصره شاخص إلى العرش .. ينتظر الأمر من الله سبحانه وتعالى .. لينفخ فى الصور .. إذا كان هذا هو حال اسرافيل فكيف يأتى منجم أو دجال .. أو مفسر للقرآن بالباطل .. ليقول إن الساعة ستقوم فى يوم كذا أو فى عام كذا !! طبعا كلها أكاذيب ..

إن اخفاء الله تبارك وتعالى لموعد الساعة . . لايعنى أنه جل جلاله . . قد أخفى موعد اقتراب الساعة . . ولذلك يقول جل جلاله فى القرآن الكريم :

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾

(الآية ١٥ سورة طه)

وقول الحق سبحانه وتعالى : أكاد أخفيها . . معناه أنه لايخفى كل شىء عنها . . ولكن الاخفاء فى الموعد فقط . . ولكن اقتراب الساعة وعلاماتها الكبرى والصغرى . . أنبىء بها رسول الله ﷺ . . وأنبأنا رسول الله عليه الصلاة والسلام . . باقتراب الساعة . . فقال ﷺ (بعثت أنا والساعة كهاتين) . . وأشار بالوسطى والسبابة . . مما يشير الى قرب موعد الساعة . . لما تحققت كل العلامات الصغرى للقيامة التى أنبأنا بها رسول الله ﷺ

يقول الله فى كتابه العزيز :

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾

(الآية ١ سورة القمر)

وسواء كانت هذه الآية الكريمة . . تعنى انشقاق القمر فى عهد رسول الله ﷺ . . حين طلب منه الكفار أن يسأل الله جل

جلاله أن يشق لهم القمر حتى يؤمنوا . . فلما حدثت المعجزة . . وشق الله لهم القمر فعلا لم يؤمنوا . . أو أن القمر . . سينشق عند اقتراب الساعة . . فمعنى ذلك أن القيامة قد اقتربت . . والله تبارك وتعالى يقول فى القرآن الكريم :

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾

(الآية ١ سورة الأنبياء)

معنى هذا أن الساعة قد اقترب موعدها ـ وليس معنى اقترابها أن موعدها غدا أو بعد أيام . . ولكن معناه أن موعدها قد اقترب . . لأن علاماتها الصغرى تحققت . . ولكننا لابد أن نعى الآية الكريمة التى تقول :

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

(الآية ٤ سورة المعارج)

إن هذه الآية الكريمة تعلمنا أن هذا اليوم عند الله سبحانه وتعالى . . ليس كاليوم عندنا . . وأننا قد نرى أشياء بعيدة . . لازال على حدوثها وقت طويل . . ولكنها عند الله قريبة . . واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾

(الآيات من ٦ ـ ٩ سورة المعارج)

عند هذه النقطة نكون قد وصلنا إلى أول المغيبات الخمسة وهى الساعة ، ونكون قد بينا أن موعد قيام الساعة لايعلمه إلا الله سبحانه وتعالى . . فاذا جاء أحد من البشر بعد ذلك وادعى أن عنده علم الساعة فهو كاذب . .

ثم نأتى بعد ذلك إلى ثانى المغيبات الخمسة . . وهو قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾

(من الآية ٣٤ سورة لقمان)

وهذه القضية قد أخذت جدلا كبيرا . . فى الفترة الأخيرة . . فقد ادعى العلماء رسميا أنهم يستطيعون إنزال المطر . . ذلك لأنهم اكتشفوا أن السحاب مؤلف من ذكر وأنثى . . وأنهما عندما يلتقيان ينزل المطر . . لقد اكتشفوا مواد كيماوية . . اذا لقح بها السحاب أمطر . .

وهذا افتراء على الله سبحانه وتعالى . . لأن المطر الذى ينزل من السماء هو عملية كبيرة جدا . . لايستطيع البشر أن يقوم بها مهما بلغ علمه . . بل لو اجتمعت البشرية كلها على أن تنزل مطرا فى مكان ما . . أو تمنع المطر من النزول فى مكان ما ، فهى لاتستطيع ولن تستطيع . .

وعملية المطر لاتبدأ بالسحاب . . بل هى تنتهى بالسحاب . . ذلك أن عملية المطر عملية كبيرة جدا - كما قلت - تتم دون أن يكون للانسان دخل فيها أو يحس بها . . فبواسطة

أشعة الشمس يتم التبخر من مياه البحر . .

والله سبحانه وتعالى جعل أربعة أخماس الأرض . . من البحار . . والربع الخامس من اليابسة . . لتتم عملية المطر . . وأنه كلما اتسعت مساحة الماء . . كان البخر أسرع وأسهل . . وكلما قلت المساحة . . كان البخر أقل . . فلو ألقينا كوب ماء على أرض الحجرة لجف بعد فترة قصيرة . . ولكن لو تركنا الماء فى الكوب عدة أيام . . فإنه لاينقص إلا بكمية صغيرة . . لأن ضيق مساحة السطح . . تجعل البخر بطيئا جدا . .

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾

(الآية ٤٣ سورة النور)

فى هذه الآية الكريمة . . يكشف الله جل جلاله لنا بعض أسرار عملية المطر . . فالبخر الذى يتم من البحار بأشعة الشمس يتصاعد إلى السماء . . فيتكون منه السحاب بإذن الله . . وتكون هناك السحب الركامية المحملة بالماء الغزير . . وعندما تصطدم ببعضها البعض يحدث البرق . . وعندما تصطدم بالجبال ينزل المطر . . وهكذا فإن سلاسل الجبال فى

العالم هى التى تنزل عليها الأمطار الغزيرة . .

يقول الحق سبحانه وتعالى : « فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء » أى أنه جل جلاله . . ربط عملية المطر بمشيئته . . ونحن نقول لكل من يدعى ان البشر يستطيع إنزال المطر . . نقول لهم إن الله سبحانه وتعالى . . قد خلق فى كونه صحارى كثيرة . . فإذا كنتم تستطيعون إنزال المطر حقا . . فاجعلوا هذه الصحارى مناطق ممطرة . . أى خذوا المطر اليها . . فينزل عليها . . وتصبح وديانا خضراء فيها زرع وحياة . .

ان البشرية كلها لاتستطيع بكل ما أوتيت من علم . . أن تفعل ذلك . . ونقول لهم أيضا . . إن الله سبحانه وتعالى قد ملأ الأرض بالأنهار . . ويجعل مياهها مستمرة . . مطر غزير يسقط كل عام . . نقول لهم . . إذا كنتم تستطيعون فعلا إنزال المطر . . فاصنعوا لنا نهرا صغيرا وسط الصحراء . . لانقول نهرا كبيرا كالأنهار التى خلقها الله سبحانه وتعالى . . ولانقول عدة أنهار . . بل نقول نهرا صغيرا . . إثباتا لقدرتكم . . ولكنهم لايستطيعون . .

إن الله سبحانه وتعالى شاءت طلاقة قدرته . . أن تأتى سنوات جفاف فى المناطق غزيرة المطر . . لنعرف أن سقوط المطر لايحدث بالأسباب الأرضية التى يعرفونها . . ولكن بقدرة المسبب سبحانه وتعالى . .

نقول لهم أيضا إذا كنتم تستطيعون إنزال المطر . . فامنعوا مواسم الجفاف عن المناطق الممطرة . . ولكنهم لايستطيعون ذلك . . بل إننا نرى الكوارث فى مناطق الجفاف . . وما يصيب الزرع والحيوان والانسان . . فيموت الزرع وتنفق الماشية . . ويعانى الناس من العطش . . ولاتستطيع قوة بشرية أن تنهى موسم الجفاف هذا . . وتجعل المطر ينزل . .

لقد حدث منذ فترة قصيرة . . موسم جفاف فى الولايات المتحدة التى تملك قمة التكنولوجيا فى العالم الحديث . . ولم تستطع قوة بشرية أن تأتى بنقطة مياه واحدة ، بل إن الأمطار الغزيرة . . تصيب مناطق فى العالم فتغرقها . . ولايستطيع أحد أن يأخذ السحاب من هذه المناطق إلى مناطق أخرى تعانى من الجفاف . .

وهكذا نرى عجز الانسان أمام قدرة الله سبحانه وتعالى عن انزال المطر ، بل ان البشرية كلها لا تستطيع أن تدفع سحابة من مكان إلى مكان آخر لتمطر . . أو أن تأخذ سحابة من مكان أغرقته الأمطار الغزيرة إلى مكان ليس فيه أمطار . .

إن البشرية كلها . . لاتستطيع أن تتحكم فى الرياح ، ولكن الله يجريها إلى حيث يشاء . . فالسحاب ليس له حركة ذاتية وإنما تدفعه الرياح من مكان إلى آخر . . والرياح لاتخضع لارادة بشر . . لا فى حركتها . . ولا فى قوتها . . ولا فى اتجاهاتها . .

منذا الذى يستطيع أن يدعى أن إحدى المغيبات الخمسة قد انكشفت . . وأن الانسان يستطيع أن ينزل المطر . . ان هذا ادعاء كاذب . . وافتراء على الله سبحانه وتعالى . .

إن عملية إنزال المطر . . عملية كونية هائلة . . تتم بإرادة الله وحدها وليس للانسان عمل فيها . . فلا الانسان يستطيع أن يتحكم فى علمية البخر التى تتم من البحار ، ولا فى أشعة الشمس التى تُحْدِثُ البخر . . ولا فى البخار الذى يَصْعَد إلى السماء ، ثم يتكثف فتتكون منه السحب ، ولا فى الرياح التى تحملها إلى أماكن معينة . . شاء الله سبحانه وتعالى أن تحملها اليها . .

لكن اذا كانت هناك عملية كيماوية . . يتم على أساسها تلقيح السحاب ليمطر . . فهذه عملية ثانوية جدا . . قد تنجح وقد تفشل . . فإذا كان ادعاء العلماء حقيقة . . فليرونا كيف يتحكمون فى حركة البخر من البحار . . أوفى حركة تكوين

السحاب ، أوفى تحركة حول الكرة الأرضية . . إن الذى ينزل الغيث . . هو الله سبحانه . . وسيظل هذا حقيقة إلى يوم القيامة . .

وبهذا نكون قد أثبتنا أن موعد الساعة لايعلمه إلا الله وحده . . وهذا العلم ممتنع حتى عن أقرب الملائكة إلى الله . . حتى ذلك الملك المكلف بالنفخ فى الصُور . . وأن عملية إنزال المطر تخضع خضوعا تاما لمشيئة الله سبحانه وتعالى وحدها ولا أحد يستطيع أن ينزل الغيث إلا الله . .

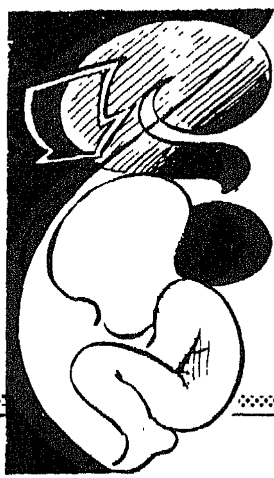
بقى أن نتحدث بعد ذلك عن قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾

(من الآية ٣٤ سورة لقمان)

لنثبت أن هذا من علم الله وحده وبقدرته سبحانه وتعالى . .

الفصل الخامس



ويعلم مافى الأرحام

كثر الحديث فى هذه الأيام عن قوله سبحانه وتعالى : « ويعلم مافى الأرحام » . . قال بعض الناس : إن العلم الحديث قد كشف مافى الأرحام . . لأن الأشعة تستطيع الآن أن تكشف ما فى بطن المرأة . . وهى حامل قبل أن تلد . . وتحدد نوع الجنين إن كان ذكرا أو أنثى !

والعجيب أن كثيرا من المسلمين . . قد صدقوا هذا الكلام . . الذى يراد به تشكيكهم فى دينهم . . وأنهم بدأوا يرددونه ، مدعين أن العلم قد كشف فعلا مافى الأرحام !!

نقول إن الله سبحانه وتعالى ـ وفى علمه أن هذا سيحدث ـ قد أعطانا فى القرآن الكريم لمحة لعدد من معانى كلمة : « مافى الأرحام » . . ولنقرأ ماجاء فى سورة آل عمران . . يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾

(الآية ٣٨ سورة آل عمران)

زكريا نبى الله عليه السلام . . لم يرزق ذرية . . وتقدمت به السن . . وخاف على رسالته ومنهجه من بعده . . فدعا الله تبارك وتعالى أن يهبه ولدا . . وكان هذا الدعاء فى محراب مريم

عليها السلام .. حينما وجد زكريا عندها فاكهة الشتاء فى الصيف .. وفاكهة الصيف فى الشتاء ..

إن زكريا عليه السلام وجد طلاقة قدرة الله فى رزقه .. فطلب أن يهبه الله ولدا .. وبمجرد الدعاء .. أنزل الله ملائكته .. فبشرت زكريا بأن الله استجاب له .. مصداقا لقوله تبارك وتعالى :

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾

(من الآية ٣٩ سورة آل عمران)

ويجب أن نتوقف هنا لنسأل : أكان دعاء زكريا وامرأته حامل فى شهورها الأولى ؟ ... الجواب طبعا لا .. لقد كان الدعاء قبل أن تحمل زوجة زكريا .. كان هذا أحد معانى كلمة « ما » التى وردت فى قوله تعالى : « ويعلم ما فى الأرحام »

اذن العلم هنا كان قبل أن يتم الحمل .. وليس بعد أن تم .. ونحن نريد من الذين يقولون .. ان العلم قد وصل الى كذا وكذا .. أن يأتوا لنا بأكبر أطباء العالم .. ليقول لنا قبل أن يتم الحمل .. هذه المرأة ستحمل وستلد مولودا ذكرا أو أنثى .

ثم نمضى مع الآيات الكريمة :

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

(من الآية ٣٩ سورة آل عمران)

الحق سبحانه وتعالى ـ وقبل ان تحمل زوجة زكريا فى ابنها يحيى ـ أنبأ زكريا . . أن أمرأته ستحمل . . وستضع ولدا . . وسيكون سيدا ونبيا وصالحا . . وسيموت شهيدا . . لأن الله سبحانه وتعالى . . مادام قد أسماه يحيى . . فإن حياته تكون بلا موت . . فكانت ارادة الله سبحانه وتعالى أن يموت شهيدا . لأن الشهداء حياتهم متصلة . . مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

(من الآية ١٦٩ سورة آل عمران)

ونحن نخاطب الذين يقولون إن أحد المغيبات الخمسة قد انكشف . . وليأتوا لنا بأكبر علماء الدنيا . . هل فى استطاعتهم

أن يقولوا لنا قبل أن تحمل المرأة . . أنها ستحمل . . وستلد مولودا ذكرا . . وأن هذا المولود سيكون مهندسا . . أو طبيبا أو أى عمل آخر . . وأن يحددوا لنا كيف سيموت ومتى ؟

ان المعجزة تزداد كلما قرأنا الآيات الكريمة . . واقرأ قول الله سبحانه وتعالى . . حين تذكر زكريا أن الاسباب لاتعطيه :

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾

(الآية ٤٠ سورة آل عمران)

زكريا هنا شيخ كبير وامرأته عاقر . . وهكذا نرى أن الأسباب منعدمة . . ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى . . رغم انعدام الأسباب . . أخبر ان امرأته ستحمل . . وستلد ويكون المولود ولدا . . ثم أخبره أن حياة الأبن ومماته . .

ومرة أخرى نحن نتحدى أكبر أساتذة العالم . . بأن نأتى له برجل عجوز . . وامرأة عجوز وعاقر . . ثم يكشف لنا بعلمه كل هذه الحقائق كما حدث بالنسبة لزكريا .



معنى ما فى الأرحام ؟

إذن فمعنى مافى الأرحام . . ليس المقصود منه هل المولود ذكر أم أنثى . . بل معناه أوسع من ذلك بكثير . . لأن الله يعلم من هو أبو المولود . . ومن هى امه . . قبل أن يتزوجا . .

وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾

(الآية ٥٠ سورة الشورى)

° إن معنى كلمة « مافى الأرحام » واسع جدا . . فكلمة « ما » هنا تعنى حياة المولود من لحظة ولادته الى لحظة وفاته . . هل هو شقى أم سعيد ؟ . . طويل أم قصير ؟ . . ما هو لونه ؟ . . هل هو صحيح أو مريض ؟ . . ماهى الأمراض التى ستصيبه ؟ . . ماهو عمره ؟ . . وماذا سيفعل ؟ . . ماهى الأحداث التى ستقع له ؟ . والتى ستقع عليه ؟ . . والتى ستقع منه ؟ . . ماذا سيعمل ؟ . . وأى مهنة سيحترفها ؟ . . وأى البلاد سيسافر اليها ؟ . . ومن سيتزوج ؟ . . وماهو رزقه ؟ . . وهل سيرزق بأولاد أم لا ؟ . .

إننا نستطيع أن نمضى فى هذه الاسئلة بلانهاية . . إن كلمة « ما » . . تعنى شريط حياة ذلك الذى لم يخلق بعد فى رحم

أمه . . فأين هذا كله من نوع الجنين . . أذكرا أم أنثى .

ان هناك نقطة هامة هى . . ان العلم قد توصل الى نوع المولود . بعد أن خرج من علمِ الله الى العلم الدنيوى بكلمة « كن ». . . أى بعد أن بدأ خَلْقه وتكوينه . . وأصبح له كيان مادى . . ولكن هل يستطيع العلم . . أن يقول لنا قبل أن تحمل الأم أى شىء عن الجنين قبل أن يبدأ تخلق الجنين فى رحم أمه ؟ . .

العلم عاجز تماما . . عن أن يخبرنا أى شىء . . فأين علم الانسان من علم الله سبحانه وتعالى ؟ . .

والذين يروجون فيما يقال من أن أحد المغيبات الخمس قد انكشف . . أفلا يتدبرون القرآن ؟ . . إن الله وحده هو الذى يعلم مافى الأرحام . . ويعلمه منذ الأزل . . ويعلم ماستضع كل أنثى . . من لحظة خلق آدم إلى يوم القيامة . . بل يعلمه جل جلاله . . قبل خلق آدم وحواء .

نتقل بعد ذلك الى قوله تعالى : « وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا » ان الرزق بيد الله وحده .. رغم كل مايقال .. ورسول الله ﷺ يقول : (ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله) .. والرزق يعرف مكانك .. ولكنك لاتعرف مكانه .. وقد تطرق عشرات الأبواب .. بحثا عن الرزق ولايأتيك منه شيء .. ولكن الرزق يعرف أين أنت فيأتيك حيث كنت ..

بعض الناس يقولون ان الرزق بالاسباب وبالسعى .. ونقول : إن الاسباب هى قوانين الله فى كونه .. والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾

(من الآية ٣٧ سورة آل عمران)

ان بعض المستشرقين يقول إن هذا الآية الكريمة هى سبب تأخر المسلمين .. ونقول لهم : فسروا لنا كيف أن هناك دولة تكون غاية فى الفقر .. ثم فجأة اكتشفوا انها تعوم على بحيرة من البترول .. فتصبح بين يوم وليلة أغنى دولة فى العالم .

ما هى الاسباب التى أخذت بها هذه الدولة لتتحول خلال أيام من أفقر دولة فى العالم الى أغنى دولة فى العالم ؟! اذكروا لنا

الأسباب . . ثم اذكروا لنا فى شأن الرزق كيف أن الله سبحانه وتعالى أعطى بعض دول الأرض بترولا ومناجم للماس والذهب . . وغير ذلك من المعادن الثمينة جعلتها من أغنى الدول . . ولم يعط دولا أخرى هذه الثروات وبقيت فقيرة .

ماهى الأسباب التى أخذت بها تلك الدول . . التى عندها هذه الثروات الهائلة فى باطن الأرض . . والأسباب التى تركتها تلك الدول التى لايوجد فى أرضها شىء ؟ . . انكم لن تجدوا جوابا إلا الآية الكريمة :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

(من الآية ٣٧ سورة آل عمران)

إن الرزق الذى يجرى فى العالم . . له اسرار غريبة لانعرفها نحن . . وأقدار الله تؤدى دورها الذى لانحس به . . فتنخفض أسعار ويفلس عدد من الناس ممن كانوا فى غنى فاحش . . وتعلو أسعار فيصبح الفقراء أغنياء . . وتتغير أنماط المجتمع . . فيعلو الحفاة العراة فى البنيان . ويصبحوا هم الذين يملكون البنايات الشاهقة . . والأرصدة الكبيرة من المال . .

هذا كله يحدث أمامنا كل يوم ، بل إننى أتذكر رجلا من كبار أصحاب المال . . حدث انهيار فى بورصة نيويورك فأفلس . . فحمل مسدسه وقتل السمسار الذى كان موكلا بشئون أسهمه . . ثم انتحر !!



ان الناس كلها تبحث عن الغنى .. وعن المال .. ولكن منهم من ينجح ، ومنهم من لاينجح ؟! أقدار رزق الله تتحكم فينا ونحن لاندرى ..

واذا كانوا يقولون انه عن طريق الحسابات الدقيقة .. يمكن تحديد نجاح الأعمال أوعدم نجاحها .. نقول لهم : ان الانهيارات التى تحدث فى بورصات العالم .. وأسواق المال فيها .. تلقى بالألوف من الناس الى الافلاس .. ولوكان هناك تنبؤ .. لما أفلس أحد .. ولكننا نسمع ونقرأ عن شركات كبيرة تفلس وتغلق أبوابها فى شهور .

ليس معنى هذا .. ألا نبحث عن الرزق .. وألا نأخذ بأسبابه .. فقد أُمِرْنا بالأخذ بالأسباب .. ولكن علينا أن نرضى .. بما تعطيه لنا الأسباب .. ونعرف أن هذا قدر الله ورزقه ..

ان بعض الناس يعتقد أن الرزق هو ما يملكه الانسان .. وهذا اعتقاد خاطىء .. فالرزق هو ماينتفع به .. ولذلك تجد انسانا يملك الملايين .. وهو حريص عليها .. فلا يفرط فى قرش منها .. انه يرتدى ثيابا قديمة .. ويأكل أقل القليل .. ولا يتمتع بما يملك !! نقول ان هذه الملايين ليست رزقه .

ان الملايين التى يملكها هى حقيقة ناتج عمله .. ولكنها ليست رزقه .. ان رزقه هو ما ينتفع به .. سواء بالمأكل والملبس .. أو ما يتصدق به ليبقى له عند الله فى الآخرة .

ولذلك يقول رسول الله ﷺ :

« يقول ابن آدم مالى مالى . هل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت » .

هذا هو رزق الانسان كما أخبرنا رسول الله ﷺ .. أما باقى ما يملكه فهو ليس رزقه .. ولكنه رزق غيره .. وهو يحرسه دون أن يدرى .. حتى يوصله لأصحابه ..

أنت عندما ترى انسانا بخيلا .. رغم انه يملك الكثير .. فاعلم انه رغم ثرائه .. رزقه قليل !! إن رزقه هو ماينتفع به فقط .. أما مالا ينتفع به .. فهو رزق غيره .. وهو حارس عليه .. إلى أن يوصله اليهم .. ولأن تكليفه بالحراسة عليه هو من أقدار الله .. لهذا نجده لايفرط فى قرش واحد .. حتى يصل المال الى صاحبه الذى سينتفع به .

إذن الذى نريد أن نقوله ردا على كل مايقال .. إنه لو كان من الممكن السيطرة على الرزق بالحسابات والكمبيوتر وغير ذلك .. لما حدثت ـ كما قلنا ـ الانهيارات فى بورصات العالم والتى تحدث بين الحين والآخر .. وتؤدى الى افلاس العديد من الشركات .. ولما حدثت الأزمات الاقتصادية .. التى لاتستطيع دولة فى العالم أن تتجنبها .



ننتقل بعد ذلك .. الى قول الحق سبحانه وتعالى : « وما تدرى نفس بأى أرض تموت » .. الله تبارك وتعالى أخفى موعد الموت عنا جميعا .. وهذا الاخفاء له حكمة .. فلو أن كل انسان عرف أجله .. لقل الخير وكثر الشر فى العالم .. لماذا ؟ ..

لأن كل انسان سيرتكب من الشرور والآثام الكثير .. مادام يعرف أن للأجل بقية .. ولن يفعل الخير إلا إذا اقترب أجله .. ولكن لأننا لانعرف الأجل ـ فقد يكون غدا أو بعد غد .. أو بعد سنوات أو بعد ساعة ـ فكل انسان مؤمن .. يسرع الى عمل الخير .. خوفا من أن يكون أجله قد اقترب ..

وبحلول الأجل لايكون للانسان اختيار يزيد به حسناته .. أو يقلل به سيئاته .. فعمل الانسان ينتهى بالموت .. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يصف عباده المقربين بقوله تعالى :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾

(من الآية ٩٠ سورة الأنبياء)

إن اخفاء موعد الموت .. هو أكبر اعلام به .. ذلك أنه يجعلك تتوقعه فى كل يوم .. وهذا يدفعك الى فعل الخير ..

وتجنب الشر والمعصية كل يوم . . خوفا من أن يكون أجلك قد اقترب . . فتلاقى الله سبحانه وتعالى بلا حسنات . . ولذلك فإن توقع الأجل . . هو تنبيه للانسان لكى يسارع إلى الخير .

وكما اخفى الله سبحانه وتعالى موعد الموت . . أخفى مكانه . . فلايعرف انسان فى أى مكان سيموت . . فقد تجد مثلا شخصا مسافرا فى طائرة . . يأتى فلا يجد مكانا عليها . . فيحاول بشتى الطرق أن يحصل على مكان . . وربما تشاجر . . وربما اتصل بأكثر من مسئول . . وأخيرا يتخلف أحد الركاب . . فيأخذ مكانه . . ويفرح بذلك فرحا شديدا . . لأنه ذاهب الى مهمة عاجلة . . ولا تكاد الطائرة تطير ساعة أو ساعتين . . حتى تحترق . فيكون هو قد سعى الى أجله . . وبذل جهدا كبيرا لكى يسافر . . الى المكان الذى سيموت فيه . . وهو لايدرى .

لقد قيل انه فى عهد سليمان عليه السلام . . جاءه شخص وهو فى غاية الانزعاج . . وطلب من سليمان أن تحمله الريح الى بلد بعيد . . لأنه رأى ملك الموت . . وكان ملك الموت فى ذلك الوقت يأتى ظاهرا . . وليس خفية كما يحدث الآن .

المهم أن هذا الرجل طلب من سليمان ان تحمله الريح الى بلد بعيد . . لأنه رأى ملك الموت ينظر اليه نظرة غريبة . . فأجابه سليمان الى طلبه . . وأمر الريح أن تحمله الى أقصى الارض . .

وعندما شاهد سليمان ملك الموت . . قال له لقد أزعجت الرجل بنظرتك اليه . . فلماذا نظرت اليه هذه النظرة ؟ . . فقال ملك الموت . . شىء عجيب حدث . . اننى رأيت هذا الرجل هنا . . مع اننى مأمور أن أقبض روحه فى أقصى الأرض بعد ساعات . . فملأنى العجب . . كيف يكون هذا الرجل هنا . . وكيف سأجده بعد ساعات فى أقصى الأرض ؟ ! وعرف سليمان أن الرجل كان يسعى الى أجله . . والله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز :

﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ

لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ
لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ
لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ
مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

(من الآية ١٥٤ سورة آل عمران)

وقد نزلت هذه الآية الكريمة فى المنافقين الذين قعدوا ولم يذهبوا إلى الجهاد فى سبيل الله .. يقولون وهم يتحدثون مع أخوانهم المنافقين .. لو أطاعنا المؤمنون ولم يذهبوا الى الجهاد مع رسول الله ﷺ .. لكانوا أحياء معنا .. فيرد عليهم الحق سبحانه وتعالى .. إن القعود عن الجهاد لايطيل أجلا .. والذهاب الى الجهاد لايقصر أجلا .. لأنه لو جاء أجل الانسان لخرج يسعى الى المكان الذى سيموت فيه بقدميه .

ان كل واحد منا عندما يأتى أجله يسعى بنفسه الى المكان الذى كتب له أن يموت فيه .. ويسعى بحماس .. ولذلك فإن الذين يحاولون أن يوهموك .. انك اذا سافرت أو خاطرت .. أو ذهبت الى الجهاد فى سبيل الله .. ستقتل أو تموت . لا يعرفون معنى قضاء الموت .. لأن الانسان فى الحرب اذا لم يكن أجله قد جاء فإنه لايموت ويعود سالما .. والانسان فى

حجرة مغلقة لايغادرها .. متى جاء أجله يموت .

• وهذا هو خالد بن الوليد رضى الله عنه .. ذلك القائد الذى حارب عشرات الغزوات .. مات على سريره .. وقال وهو يحتضر : لقد حضرت غزوات كذا وكذا زحفا .. ومافى جسدى موضع شبر الا فيه ضربة سيف .. أو رمية سهم .. أو طعنة رمح .. وهأنذا أموت على فراشى كما يموت البعير .. فلا نامت أعين الجبناء ..

وهكذا نرى ان المكان أو الأرض . . التى يموت فيها الانسان لا علاقة لها بالاحداث الدنيوية . . فلاتكون ساحة الحرب بالضرورة هى المكان الذى يموت فيه الانسان . . ولايكون البيت الآمن بالضرورة هو الذى يعطى استمرار الحياة للانسان . . والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾

(من الآية ٧٨ سورة النساء)

وهكذا نعرف أنه لايوجد مكان . . يأمن فيه الانسان من الموت . . لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾

(من الآية ٨ سورة الجمعة)

فاذا كانت هذه هى الحقيقة . . فإننا نقول : انه يوم يولد الانسان . . ينطلق سهم الموت مع سهم الحياة . . ويظل ملك الموت يبحث عنه فلايجده . . الا ساعة يقضى الله بالأجل . . فيتم اللقاء .

ان هذه الآية الكريمة التى تقول :

« وما تدرى نفس بأى أرض تموت » . .

لايستطيع أحد أن يجادل فيها .. ولا أن يقول انها انكشفت .. فالعلم حتى الآن لايستطيع أن يحدد لحظة الوفاة .. والله سبحانه وتعالى كما أخفى موعد الموت .. أخفى مكانه .

ونحن نرى كل يوم فى الحياة مايعطينا معنى الآية الكريمة :
« وما تدرى نفس بأى أرض تموت » ..

فالسائح يسافر الى بلد بعيد .. فيشب حريق فى الفندق الذى ينزل فيه .. فيلقى حتفه ويكون قد جاء من بلده بنفسه إلى هذا المكان ليموت فيه. فيكون سعى بنفسه الى الموت .. وهناك انسان يحاول ان يحتمى بمكان .. فيكون فى هذا المكان أجله ..

اننا نرى بعض الذين نعرفهم .. وهم يسعون بقوة ليذهبوا الى الأرض التى سيموتون فيها .. ولذلك فإن هذه الآية الكريمة لاتحتاج الى ايضاح اكثر مما ذكرناه .

واذا كنا قد تحدثنا . عن الغيب المطلق .. والغيب النسبى .. ولماذا أخفى الله سبحانه وتعالى الغيب عنا .. وكيف مزق القرآن الكريم حجب الغيبُ كلها ؟ فلابد من حديث عن معنى الآية الكريمة :

﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾

(من الآية ١٨ سورة التغابن)

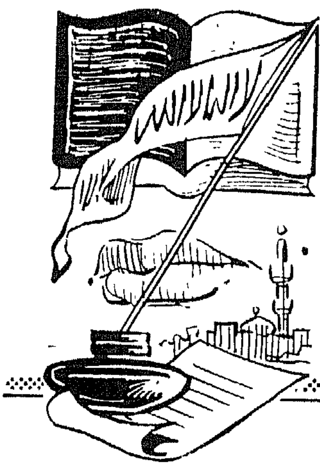
ومعنى قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾

(الآية ٥٩ سورة الانعام)

لنعرف المعنى العميق .. لهاتين الآيتين الكريمتين .. وليقترب من أذهاننا .. كيف أن عالِمَ الغيب والشهادة لايخفى عليه شىء فى الكون .

الفصل السادس



عالم الغيب والشهادة

الله سبحانه وتعالى . . هو وحده : « عالم الغيب والشهادة » . . وقد يتعجب بعض الناس . . لماذا جاءت كلمة الشهادة هنا . . والمقصود بها العَالَمُ المشهود ؟ . . ونقول : إنها جاءت حتى لايعتقد أحد أن الله سبحانه وتعالى ـ لأنه غيب عنا ـ يعلم الغيب فقط . . وأنه جل جلاله . . يغيب عن علمه ذلك العالم المشهود الذى نعيش فيه . . فجمع الله بين العالمين . . عالم الغيب وعالم والشهادة ، ليغلق باب التأويل والاجتهاد . . فالله سبحانه وتعالى عنده علم الغيب . . وعنده علم المشهود الذى يحدث فى الدنيا . . وبهذا لايغيب عن علمه شىء . . لافى الارض ولافى السماء .

إن معنى عالِم الغيب . . هو أنه يعلم كل ماهو غيب عنا . . وكما قلنا نحن نعلم القليل . . والقليل جدا مما فى الكون . . ولا نعلم الكثير . . ولذلك فإن كلمة عالم الغيب تقتضى علما مطلقا لله سبحانه وتعالى . . فكل ماهو غائب عنا يعلمه الله تبارك وتعالى . .

الكون غيب عنا . . ولكن الله يعلمه . . وعالم الجن غيب عنا ، ولكنه لايغيب عن علم الله جل جلاله . . وعالم الملائكة غيب عنا . . ولكن الله عز وجل يعلمه . . وما ينزل الى الأرض . . وما يصعد الى السماء . . كلاهما غيب عنا . . ولكن

الله جل جلاله يعلمه . . وعالم البرزخ غيب عنا . . وكذلك يوم القيامة . . والحساب والآخره . . والجنة والنار . . كل هذا غيب عنا . . ولكن الله تبارك وتعالى يعلمه .

إن ما سيحدث بعد يوم القيامة غيب عنا ولكن الله يعلمه .. وما يقع فى باطن الأرض غيب عنا ولكن الله يعلمه .. والثمرة التى ستنبت بعد ألف سنة غيب عنا ولكن الله يعلمه .. والانسان الذى يولد قبل القيامة بساعات غيب عنا ولكن الله يعلمه .. والورقة التى ستسقط بعد مئات السنين أو ألوف السنين غيب عنا ولكن الله يعلمه .. وأحداث الدنيا كلها التى ستقع .. غيب عنا ولكن الله يعلمها ..

ولنقرأ قول الحق سبحانه :

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي
كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا
تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ
مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾

(الآيتان ٢٢ ، ٢٣ سورة الحديد)

لقد أراد الله تبارك وتعالى .. أن يخلص المؤمنين به من الانفعال ومن القلق .. لأنهما يسببان أمراضا قاتلة للجسد .. ولكى يعيش المؤمن والمؤمنة حياة طيبة .. طلب الله جل جلاله

منهم الا يحزنوا على مافاتهم . . وألا يفرحوا بما جاءهم . . لأنها كلها أقدار الله . . لها حكمة . . فقد يكون مافاتهم شرا جنبهم الله اياه . . وماجاء ليس خيرا لهم . . فلا يفرحوا به .

ولنبدأ من البداية . . الله سبحانه وتعالى قبل أن يخلق الكون . . كان علمه يحيط بكل أحداث هذا الكون . . وحدد الله تبارك وتعالى غايته . . ذلك أنك لابد أن تحدد الغاية قبل أن تبدأ العمل . .

نحن على سبيل المثال حين نريد أن نبنى بناء . . أنذهب نبنى هكذا ؟ أنأتى بالمهندسين ونقول لهم أقيموا لنا بناء ؟ طبعا لا . . وانما لابد أن نحدد البناء أولا . . لأن البناء سيختلف حسب الغاية . . فلو أردنا أن نبنى بناء للسكن . . فإن هذا البناء سوف يختلف قطعا فيما لو أردنا أن نبنى مصنعا ، أو مقر شركة . . إذن فالغاية تحدد أولا . . ثم بعد تحديد الغاية . . نبدأ التنفيذ .

الدنيا دار اختبار

الغاية بالنسبة للحياة الدنيا . . هى انها دار اختبار . . يختبر الله سبحانه وتعالى عباده فى طاعته . . ولقد قلنا إن كل شىء خلقه الله سبحانه وتعالى مختارا . .

هناك من اختار مرة واحدة . . اختار أن يكون مقهورا . . كالشمس والجبال والبحار . . والكون كله ما عدا الانس والجان . . ومنهم من اختار أن تكون له اختيارات متعددة . .

اذن هناك من اختار مرة واحدة . . اختار أن يكون مقهورا . . لأنه لايضمن نفسه . . اذا أعطى الاختيار فى الطاعة هل يعطيها حقها أم لا . . وهناك من غره عقله . . فقبل اختيار أن يأتى الله عن حب وليس عن قهر . .

لكن لا الذى اختار القهر خرج عن علم الله ، ولا الذى آثر الاختيار خرج على علم الله . . ان كل ماحدث أو سيحدث كان فى علم الله سبحانه وتعالى . . قبل أن يحدث . . واقرأ قول الله جل جلاله :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

(من الآية ٣٠ سورة البقرة)

أقالها الله سبحانه وتعالى . . وهو يخبر الملائكة عن خلق آدم

بعد أن خلق آدم . . أم قبل أن يخلقه ؟ . . الله تبارك وتعالى يقول :

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾

(الآية ٢٩ سورة الحجر)

إن الأمر بالسجود من الله جل جلاله للملائكة كان قبل خلق آدم . . وبعد أن أخبر الله تبارك وتعالى الملائكة أنه سيخلق خليفة فى الأرض . . اذن فآدم مخلوق أساسا . . ليعمر الأرض ويعيش فيها . . وتكون له ذرية الى يوم القيامة . . فكأن علم الله سبحانه وتعالى قد شمل خلق الكون وحدد له الغاية . . وشمل خلق آدم وحدد له الغاية . . ثم شمل بعد ذلك كل ما يجعل هذه الغاية ممكنة التنفيذ . . فخلق الماء والنبات والحيوان . . كضمان لاستمرار حياة آدم وذريته . . على الأرض الى يوم القيامة .

يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾

(الآيتان ٩ و ١٠ سورة فصلت)

اننا اذا تدبرنا هاتين الآيتين الكريمتين . . نجد أن الله سبحانه وتعالى . . قدر فى الأرض أقواتها يوم الخلق . . ومعنى ذلك انه جل جلاله قد علم من سيعيش على الأرض حتى يوم القيامة من بشر . . وحيوان وحشرات ونبات . . علم كل هذا بالتفصيل . . حتى يدبر لكل نوع قوته الذى يكفيه الى يوم القيامة . .

كل ذلك فى علم الله تبارك وتعالى . . قبل أن يخلق الأرض . . من كل أجناس الوجود . . الى أن تنتهى الأرض وتدمر . . حتى يدبر لهم جميعا . . مايحتاجونه من قوت للحياة . .

ولكى يخلق الله هذا القوت . . فلا بد أن يكون فى علمه ليخلقه . . والله سبحانه وتعالى خالق . . قبل أن يوجد شىء يخلق . . لأنه أوجد وخلق بصفته الخالق . . فالصفة وجدت أزلا . . ثم وجد الخلق . . وكذلك كل صفات الله سبحانه وتعالى أزلية . . فالله رحيم قبل أن يوجد من يستحق الرحمة . . ورزاق قبل أن يوجد من يحتاج للرزق . . وهكذا كل صفاته جل جلاله . .

ثم نكمل الآيات الكريمة فيقول سبحانه :

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾

(الآية ١١ ومن الآية ١٢ سورة فصلت)

وهكذا نعلم من الآية الكريمة . . أن الله جل جلاله . . قد أوحى فى كل سماء أمرها . . أى أنه جعل فيها ماشاء من أحداث . . الى أن تزول السموات والأرض . . وهذا يقتضى علما بكل ماسيحدث فى السموات الى أن تزول . .

وبما أن الله سبحانه وتعالى .. هو خالق السموات والأرض .. فهو جل جلاله الذى يبقيها الى أجلها .. ومعنى يبقيها أى يمنعها من الزوال .. حتى يأتى الأمر لها بأن تزول .

من هذه الآيات الكريمة . . نعرف أن الحق سبحانه وتعالى . . عنده علم غيب الكون كله قبل أن يخلق . . لأنه قبل الخلق قدر أشياء . . لابد أن تكون موجوده حتى نهاية الكون . .

ولكى نقرب هذه الصورة الى الاذهان . . نقول نحن عندما نريد أن نبنى بناء أو عمارة . . فبعد أن نحدد الغرض منها لابد أن نقيم لها ما يسميه المهندسون (ماكيت) . . أى صورة تشمل كل التفاصيل . . التى سيتم على أساسها البناء . . وبدون هذه التفاصيل لانستطيع التنفيذ . . فلا شىء يتم تنفيذه عشوائيا . .

ولكن لابد أن يكون هناك تصور أولا لهذا الشىء . . ليأتى تنفيذه متفقا مع الغرض منه . .

واذا كان المهندس الذى يقوم بالتنفيذ بارعا . . فانه يجعل فى هذا الماكيت . . أدق التفاصيل ويبرزها ويحددها . . ثم يأتى التنفيذ على وفق ماخطط ودبر . . فاذا كان القائم بهذا العمل هو الله سبحانه وتعالى عالم الغيب . . فان هذا الماكيت الذى يوضع . . لابد الا يغيب عن علمه فيه شىء مهما كان صغيرا . . وأن يأتى التنفيذ . . وفق ماقرره الله سبحانه . . دون أى اختلاف . .

واذا قرأت قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾

(من الآية ٦١ سورة يونس)

تجد أنه عند نزول هذه الآية .. لم يكن هناك تصادم .. بين العلم والقرآن الكريم .. ذلك لأن العلماء الى وقت قريب .. كانوا قد وصلوا .. الى أن الذرة هى أدق مكونات المادة التى لاتتفتت .. ثم تقدم العلم .. واستطاع الانسان ان يفتت الذرة ويفجرها .. فقالوا تصادم القرآن مع العلم .. لأن الله سبحانه وتعالى .. ذكر الذرة على أساس انها أدق مكونات المادة ..

ونقول لهم انكم لم تفهموا القرآن .. لأن الله سبحانه يقول : « ولا أصغر من ذلك » .. ومعنى « أصغر » أن هناك مرحلتين .. صغير وأصغر .. وتفتت الذرة وصل بنا الى مرحلة صغيره .. ولكن هناك ما هو قادم من تفتيت لذرات المادة أكثر مما توصل اليه العلم الآن ..

اننا نقول هذا .. لأن حدوث أمر مثل تفتيت الذرة دون أن تكون له اشارة فى القرآن الكريم .. يتنافى مع أن الله سبحانه عالم الغيب .. فهو جل جلاله .. لايغيب عن علمه شىء فى هذا الكون .. مهما كان دقيقا ..

واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى فى سورة لقمان :

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾

(الآية ١٦ سورة لقمان)

والخردل حبة فى غاية الدقة وخفة الوزن . . ولكى تقترب من أذهاننا صورة هذا المثل الذى ضربه الله سبحانه وتعالى لنا فى القرآن الكريم . . علينا أن تصور حجم حبة الخردل بالنسبة لحجم السموات والأرض . . لنعرف دقة علم عالم الغيب . . الذى لايغيب عن علمه . . حتى هذه الحبة الدقيقة . . ومكانها فى هذا الكون الهائل . . ولنعلم يقينا أنه لاشىء يغيب عن علم الله تبارك وتعالى .

الله جل جلاله خلق السموات .. وخلق الجنة والنار .. وخلق الآخرة ويوم القيامة .. كل ذلك موجود فى علمه .. كما قلنا فى ماكيت دقيق .. يحتوى على كل التفاصيل .. لأنه جل جلاله قبل أن يخلق دبَّر ما لأهل الجنة من نعيم .. وقدر له أن يوجد .. وما لأهل النار من عذاب .. وقدر له أن يوجد .. وهو سبحانه وتعالى .. وان لم يبرزه لنا هذا من عالم الغيب الى عالمنا المشهود .. فإنه موجود عنده فى علمه بكل تفاصيله . ولابد أن نلتفت الى قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

(الآية ٨٢ سورة يس)

لابد أن نلتفت هنا الى قوله تعالى : « ان نقول له » .. ومعنى نقول له .. انه موجود فى علم الله .. وعندما يريد الله سبحانه وتعالى أن يخرجه الى علم البشر .. أو الى عالمنا المشهود .. أن يقول له « كن » .. أى يقول لشىء موجود عنده جل جلاله .. « كن » .. فيخرج من علم الغيب الى العالم المشهود ..

ان الله جل جلاله .. يعطينا فى القرآن الكريم أكثر من آية عن معنى عالم الغيب .. وذلك رحمة بعقولنا .. لأنه جل

جلاله ـ فى كل شىء غيبى ـ يأتى بشىء مُحَسّ . . يقرب الصورة الى الأذهان . .

فمثلا خَلْقُ الانسان غيب عنا . . فلم يشهد أحد منا خلق نفسه . . أو خلق غيره . . ولكن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بالخلق . . فقال جل جلاله . . إنه خلق الانسان من تراب . . من طين . . من حمأ مسنون . . من صلصال كالفخار . . ثم نفخ فيه من روحه . .

اذا أخذنا التراب . . وأضفنا اليه الماء أصبح طينا . . فاذا تركناه تتفاعل عناصره . . أصبح حمأ مسنونا . . كالذى يستخدمه البشر فى صناعتهم . . ثم يجف فيصبح صلصالا .

هذه هى قضية الخلق وهى غيب عنا . . والله سبحانه وتعالى . . يريد أن يقرب الينا هذا المعنى . . ولذلك جعل من الموت دليلا على قضية الخلق . . فالموت نقض للحياة . . أى أن الحياة تكون موجودة والله ينقضها بالموت . . ونقض الشىء يأتى على عكس بنائه . .

اننا اذا أردنا أن نبنى عمارة . . فإننا نبدأ ببناء الدور الأول . . لكن اذا أردنا أن نهدمها . . نبدأ بالدور الاخير ! . . واذا أردنا السفر الى الاسكندرية فإننا نبدأ من أى مكان حتى نصل الى الاسكندرية . . فاذا أردنا العودة . . كانت أول نقطة فى العودة هى الاسكندرية . .

ونحن لم نعلم شيئا عن خلق الحياة . . لأننا لم نكن موجودين ساعة الخلق . . ولكننا نشهد الموت كل يوم . . والموت نقض للحياة . . ولذلك يحدث على عكسها . .

ان أول شيء يخرج من الانسان عند الموت . . هو آخر شيء دخل فيه عند الحياة . . وهو الروح . . فالروح آخر مايدخل فى الانسان . . عند الخلق ليعطيه الحياة . . وأول ما يخرج منه ساعة الموت . . ثم تبدأ مراحل الموت عكس عملية الخلق . . يتصلب الجسد فيصبح صلصالا كالفخار . . ثم يتعفن فيصبح كالحمأ المسنون . . ثم يتبخر الماء من الجسد . . ويصبح الطين ترابا . . ويعود الى الأرض مرة أخرى . . ترابا كما بدأ .

وهكذا نرى ان الله سبحانه وتعالى . . رحمة بعباده . . يعطينا فى قضايا الغيب ما يقرب هذه القضايا الى أذهاننا . . ولابد أن نأخذ نحن عن الله كل ما يتعلق بالغيب . . ولا نأخذه الا عن منهجه سبحانه وتعالى . . فهو الذى يعلم وحده . . وهو القادر وحده على أن يعطينا الصورة الصحيحة . . لأن الغيب غير مشهود لنا . .

هناك آيات فى القرآن الكريم تقرب لنا معنى : « عالم الغيب » . . هذا المعنى الكبير . . الذى لابد أن نلتفت اليه . .

واقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾

(من الآية ٤٧ سورة فصلت)

وقول الله جل جلاله :

﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

(من الآية ١١ سورة فاطر)

وقول الله سبحانه :

﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

(من الآية ٥ سورة الحشر)

وهكذا نرى أن هناك آيات كثيرة فى القرآن الكريم . . تقرب الى اذهاننا معنى : « عالم الغيب » . . واذا كان الله سبحانه وتعالى قد ضرب لنا الأمثال بأشياء مشهودة . . فلابد أن نعلم أن هذه الاشياء قبل ان تكون مشهودة لنا . . كانت غيبا عنا . .

فاذا انتقلنا الى عالم الشهادة . . وهو العالم المشهود . . فلابد أن نعرف أن كل شيء . . فى هذا العالم المشهود . . يعلمه الله . . بل يعلم مايدور فى أنفسنا ولانبديه . . ولم نهمس به الى أحد . . والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ ﴾

(من الآية ٢٣٥ سورة البقرة)

ولنا أن نتصور . . كم نفسا موجودة فى العالم فى وقت واحد . . وما يدور فى كل نفس . . فى وقت واحد . . وكيف ان الله سبحانه يعلمه جميعا . . بل يعلم مادار فى كل نفس . . منذ عهد آدم حتى الآن . . ويعلم ماسيدور فى كل نفس حتى يوم القيامة . . لتقترب الى أذهاننا الصورة . .

واقرأ قول الحق جل جلاله :

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ﴾

(من الآية ٧ سورة المجادلة)

ان هذه الآية الكريمة تعطينا معنى آخر . . فكل عدد من الناس يجلسون فى أى مكان . . سواء فى طائرة . . أو فى غواصة . . أو فى سيارة . . أو فوق جبل . . أو فى سهل . . أو فى أى مكان فى الدنيا . . فإن الله معهم . . يستمع الى قولهم . . وما يتحدثون به وما يتناجون ، ولذلك فكل كلمة محسوبة . . كل ماينطق به اللسان عليه ثواب أو عقاب .

هذا العلم الهائل . . الذى يحيط بكل نفس فى الدنيا . . هو من الله سبحانه وتعالى . . « عالم الغيب والشهادة » .

بل نذهب الى أعمق من ذلك فى قول الحق جل جلاله :

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾

(من الآية ٧ سورة طه)

نحن نعلم ماهو السر . . إنه ما يسر به الانسان لغيره . . والسر يكون بين اثنين . . دون أن يعرفه ثالث . . فما الذى هو أخفى من السر ؟ . . انه الذى فى الصدور . . لاتنطق به الشفاة . .

ويحكى أن عالما أراد أن يمتحن تلاميذه . . فأعطى كل واحد منهم ديكا وسكينا . . وقال أريد أن يذهب كل واحد منكم إلىّ مكان لايراه فيه أحد . . ويذبح الديك ثم يعود الى . . فعاد كل التلاميذ وقد ذبح كل منهم ديكه . . ماعدا تليمذا واحدا . . عاد ومعه الديك لم يذبح . . فلما سأل الاستاذ تلميذه لماذا لم تذبحه ؟ . . قال لم أجد مكانا لايرانى فيه الله .

نحمد الله الذى وفقنا فى استعراض بعض المعانى لقول الحق سبحانه وتعالى : « عالم الغيب والشهادة » . . ذلك المعنى الكبير . . الذى لايستطيع أن يحيط به عقل . . ونرجو من الله سبحانه وتعالى . . أن يكون قد وفقنا لما فيه الخير . . وهدانا فيما قلناه .

والله الهادى الى سواء السبيل .

الفهرست

الفصل الأول

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الترقيم الدولى
٩٧٧ - ١٢٤ - ٣٦٢ - ٤

رقم الايداع
٣٢٠٦ / ١٩٩٠

وكلاء التوزيع بالخارج

السعودية : تهامة للتوزيع
شارع الملك فهد خلف اسواق النويصر
الأردن : شركة وكالة التوزيع الاردنية
عمان - الأردن
المغرب : الشركة الشريفة للتوزيع والصحف (سوشبرس)
الدار البيضاء - المغرب
اليمن : محلات القائد التجارية
باب مشرف ص. ب ٣٠٨٤
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات
ص. ب ٦٥٨٨
القدس : يوسف رحيل
ص. ب ١٩٠٩٨
أبو ظبى : دار المسيرة
شارع السلام منطقة النعمان السياحى - ابو ظبى
الدوحة.قطر: دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع
ص. ب ٦٣٣
دبـــى : دار الحكمة
ص. ب ٢٠٧

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم

مكتبة تتوارثها الأجيال

هذا الكتاب

عزيزي القارئ، بتوفيق من الله وعونه .. وافق فضيلة الإمام الشيخ محمد متولي الشعراوي .. أن تقوم «مؤسسة أخبار اليوم» بالتعاون مع فضيلته في إنشاء «مكتبة الشعراوي الإسلامية».

وهذا العمل المبارك ـ عزيزي القارئ ـ يختلف عن كل ما نشر من خواطر فضيلته حول القرآن الكريم في الصحف والمجلات، على كثرتها.

لقد اعتاد الإمام الشعراوي أن تكون إجاباته على أسئلة السائلين على قدر السؤال، وأما عن خواطره .. فكان الحديث بقدر ما تتطلبه الآية من تفسير.

أما هذه المكتبة ـ عزيزي القارئ ـ فتتناول القضايا الدينية كموضوع متكامل .. تشرح أبعاده .. وتوضح الحكمة منه .. تحل ما صعب فهمه، وترد على الأباطيل والافتراءات التي تثار بين وقت وآخر حول الدين الإسلامي الحنيف.

لقد تم ـ بحمد الله ـ الإعداد لأربعة وعشرين كتابا، تشكل في مجموعها مكتبة إسلامية قيمة .. سوف تصدر ـ إن شاء الله ـ متتابعة عن مؤسستك «أخبار اليوم».

إن كل كتاب منها سيتناول موضوعا مستقلا لا غنى لكل مسلم عن الإحاطة به: أهل الكهف .. الحج المبرور .. المرأة في القرآن الكريم .. الشيطان والإنسان .. الحساب .. الجنة والنار .. الرزق .. الخ.

وعليك ـ عزيزي القارئ ـ أن تتأكد ـ وأنت تشتري مكتبتك الإسلامية ـ أن الغلاف الخارجي لهذه الكتب يحمل عنوان «مكتبة الشعراوي الإسلامية».

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم